باب من حقق التوحيد
دخل الجنة بغير حساب

۞ أي: ولا عذابٍ، وتحقيقُ التوحيدِ هو معرفتُه والاطلاعُ على حقيقتِه والقيام بها علماً وعملاً، وحقيقةُ ذلك هو انجذابُ الرُّوحِ إلى الله محبَّةً وخوفاً، وإنابةً وتوكُّلاً، ودعاءً وإخلاصاً، وإجلالاً وهَيبةً، وتعظيماً وعبادةً، وبالجملة فلا يكون في قلبِه شيءٌ لغيرِ الله، ولا إرادةٌ لما حَرَّم الله، ولا كراهةٌ لما أمرَ اللهُ، وذلك هو حقيقةُ «لا إلهَ إلا اللهُ» ؛ فإن الإلهَ هو المألوهُ المعبودُ.

وما أحسنَ ما قالَ ابنُ القيِّم:

فلِواحـــدٍ كُـــنْ واحـــداً في واحـــدِ

أَعني سبيلَ الحقِّ والإيمانِ[1]. [١٣٣]

[شرح١٣٣] قوله: «فلواحد كُنْ واحداً» أي: لله وحده ﷻ.

فلواحـــد كُـــنْ واحـــداً في واحـــدِ أعنـــي ســـبيلَ الحـــقّ والإيمـــانِ =

---

(١) ص٦٢.

.....

= «أعني» أي: الأخير وهو «في واحدٍ»؛ يعني: في سبيل الله.

وقوله: «فلواحدٍ» أي: لله وحده جل وعلا.

وقوله: «كُن واحداً» أي: كن أنت مجتمع القلب في عبادة الله ﷻ فلا يكون قلبك موزعاً مشتتاً؛ بل ليكن مخلصاً لله العبادة قد جمع على توحيد الله والإخلاص له والصدق في ذلك؛ ولهذا قال في الصدق:

والصدقُ توحيد الإرادة وهْوَ لُ الجَهدِ لا كَسَلاً ولا مُتَوانِ

المقصود أنه يكون واحداً؛ أي: يكون مجتمع القلب على الله ﷻ، لا موزعاً مفرقاً؛ والواحد: هو الله وحده ﷻ؛ فقوله: «فلواحد»: هو الله وحده جل وعلا.

وقوله: «كن واحداً» أي: كن مجتمع القلب صادق اللهجة، صادق الدعاء، صادق الإخلاص، متبتلاً لربك ﷻ في دعائه وابتغاء مرضاته وترك محارمه ﷻ.

وقوله: «في واحد»؛ أي: في شريعة الله و في سبيله جل وعلا؛ ولهذا قال:

أعني سبيل الحق والإيمانِ =

.....

= أي: كن موحداً في نفسك، مُخلِّصاً لها من كلِّ الشرك، جامعاً لقلبك على الله ﷻ خوفاً ورجاءً ومحبةً وتعظيماً وإخلاصاً وشوقاً إليه ﷻ، وفراراً منه إليه، وحذراً مما يغضبه ﷻ، وأنت مع ذلك في الشريعة في سبيل الله لا تخرج عنها؛ لتكون أعمالك واجتهاداتك في سبيل واحد، هو سبيل الله وصراطه المستقيم، لا في سبل أخرى من البدع.

obeikandl.com

۞ وذلك هو حقيقةُ الشهادتين، فمن قامَ بها على هذا الوجهِ فهو من «السبعينَ ألفاً الذين يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ»[1].[2] [١٣٤]

[شرح١٣٤] وهذا هو تحقيقه، هو أن يخلص توحيده من الشوائب؛ شوائب الشرك والبدع فتحقيقه: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فهذا هو التحقيق: أن يخلص توحيده ويصفيه، حتى لا يكون في توحيده وإخلاصه لله شرك ولا بدعة ولا معصية، وإنما يكون توحيداً خالصاً مصفى منقى من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع التي تقدح في الدين، ومن المعاصي التي تنقص ثواب أهل التوحيد؛ لأن الشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية وينقضه ويبطله، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدح في التوحيد وتضره وتنقصه.

والمعاصي ـ كذلك ـ تنقص ثواب أهل التوحيد وتنقص إيمانهم وتضعفه، فلا يكون توحيده كاملاً ولا محققاً ولا مصفى إلا =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠).

(٢) ص٦٢.

.....

= بكونه قد خص العبادة لله وحده، وابتعد عن الشرك بالله ﷻ صغيره وكبيره، وحذر البدع أيضاً وابتعد عنها، واستقام على الشريعة بأقواله وأعماله، وهجر المعاصي أيضاً؛ لأنها تنقص إيمانه وتضعف إيمانه، فالبدع والمعاصي تنقض الإيمان وتضعفه.

والشرك الأكبر ينافيه بالكلية وينقضه ويبطله، والشرك الأصغر ينافي كمال الواجب ويضعفه، فلا يكون العبد محققاً لتوحيده ومنقياً له، صالحاً لأن يكون من السبعين إلا بهذه العناية، بعنايته بتوحيده وإخلاصه لله؛ حتى يكون توحيده مصفى من الشرك بالله ﷻ ومن البدع والمعاصي التي حرمها الله عز وجل.

وبهذا يكون من السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لكونهم استكملوا ما أوجب الله عليهم، و ابتعدوا عما حرم الله عليهم، وهجروا البدع والمعاصي، حتى تركوا بعض ما هو مباح؛حذراً من الوقوع في المحرمات، فلا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، كما سيأتي فتركوا بعض المباحات وبعض المكروهات حذرا، من الوقوع في المحرمات، هذا من كمال توحيدهم وكمال =

.....

= إيمانهم، أنهم ابتعدوا عن المعاصي والبدع، ومع ذلك ابتعدوا أيضاً عن بعض الأشياء المكروهة كالكي والاسترقاء، حرصاً منهم على كمال توحيدهم وكمال إيمانهم*.

* س: هل كان عددهم محدداً؟

ج: يأتي عدة أحاديث بعد هذا منها: أنهم سبعون ألفاً، ومنها أنه «زادني مع كل ألف سبعين ألفاً»[1]، ومنها ما هو أكثر من ذلك؛ فهم لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ، فهم كثيرون، جعلنا الله وإياكم منهم.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

obeikandl.com

۞ قولُه: وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، مناسبةُ الآيةِ للترجمةِ من جهةِ أن اللهَ تعالى وصفَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ في هذه الآيةِ بهذه الصفاتِ الجليلةِ، التي هي أعلى درجاتِ تحقيقِ التوحيدِ ترغيباً في اتِّباعِه في التوحيدِ، وتحقيقِ العبوديةِ باتِّباعِ الأوامرِ، وتَركِ النواهي، فمن اتَّبعه في ذلك؛ فإنه يدخلُ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، كما يدخلها إبراهيمُ عليه السلام.

الأولى: أنه كان أُمةً، أي: قُدوَةً وإماماً، معلماً للخيرِ وإماماً يُقتدَى به، روي معناه عن ابنِ مسعودٍ[1]، وما كان ذلك إلا لتكميلِه مقامَ الصبرِ واليقينِ اللذَينِ بهما تُنالُ الإمامةُ في الدِّين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤][2]. [١٣٥]

[شرح١٣٥] أي: بالصبر على طاعة الله، والكفّ عن محارم الله، =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١٩٧١).

(٢) ص٦٢.

.....

= واليقين بتوحيد الله والإيمان به يكون العبد إماماً، وهذا إنما يكون بسبب العلم والبصيرة والهدى؛ لأن العلم والهدى يجعله متيقناً بما أخبر الله به ورسوله، ويجعله صابراً على طاعة الله وترك محارمه، فعلى حسب علم العبد وخوفه من الله وتعظيمه لحرماته يكون صبره ويقينه.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من العلماء والأخيار إنما كانوا أئمة يهتدى بهم، ويقتدى بهم، لصبرهم ويقينهم وعلمهم العظيم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

المقصود أنه جعل لبني إسرائيل قبلنا، وفي هذه الأمة أعظم أئمة يهدون بأمر الله إلى طاعته وإلى دينه، وسبب ذلك صبرهم على كبح جماح نفوسهم عن المحارم، وصبرهم على أداء الفرائض، وصبرهم على الحدود والوقوف عندها عن يقين لا عن شك ولا عن ريب؛ بل عن يقين بما أمر الله به ورسوله،، فهم على يقين فيما آمنوا به، وعلى يقين فيما فعلوه وتركوه، ومع ذلك صب عليهم الحق وتيقنوه خبراً وأمراً، ثم ساروا عليه صابرين. =

.....

= فليسوا ممن يقول ولا يعمل، أو من يعلم ولا يعمل كاليهود، فهم علماء بني إسرائيل أهل الحق والهدى، الذين عرفوا وعملوا به، بخلاف علمائهم الضالين الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه، وهكذا أشباههم في هذه الأمة الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه لهوًى في نفوسهم، ولإيثار العاجلة، سواء كان ذلك في البعض أو في الكل.

فالحاصل أن الأئمة الذين يقتدى بهم كإبراهيم عليه الصلاة والسلام والأنبياء جميعاً، وكعلماء الحق من الأمة وقبلها، إنما كانوا أئمة بهذين الأمرين، إنما كانوا أئمة يقتدى بهم ويثنى عليهم بأمرين عظيمين هما: الصبر واليقين، الصبر يتعلق بالأعمال والتروك، واليقين يتعلق بالعلم، فكانوا على علم وعلى بصيرة وعلى هدى، وهذا العلم أوجب لهم صبرهم على طاعة الله، وصبراً عن محارم الله، ووقوفهم عند حدود الله، قد آثروا الله، وآثروا دينه، وآثروا حقه؛ فصاروا على بصيرة في ترك المحارم وأداء الفرائض، والوقوف عند الحدود والمحبة في الله، والبغضاء في الله، والعطاء لله، والمنع لله إلى غير ذلك. =

.....

= فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان زمناً طويلاً واحداً على الحق ما معه أحد، ليس على الحق سواه، ثم هدى الله له ابنة عمه سارة وصارت على دينه، ثم ابن أخيه لوط، ثم دخل الناس في دين الله بعد ذلك شيئاً بعد شيء، وكان مع ذلك ـ مع كونه واحداً ـ لم يضعف ولم يكسل؛ بل يعلِّم الناس، ويدعو الناس إلى الله، وينذر ويبشر حتى هدى الله على يديه من هدى، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني: إماماً يقتدَى به معلماً للخير لا يملُّه*.

* س: الحديث الذي فيه «من أَحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[1]، هل هو قوي؟

ج: نعم، لا أعلم به بأساً من حديث أبي أُمامة.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٣).

۞ الثانيةُ: أنه كان قانتاً لله، أي: خاشعاً مطيعاً دائماً على عبادته وطاعته؛ كما قال شيخ الإسلام: القنوتُ في اللغةِ: دوامُ الطاعةِ، والمصلِّي إذا طالَ قيامُه أو ركوعُه أو سجودُه فهو قانتٌ في ذلك كلِّه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، فجعله قانتاً في حالِ السجودِ والقيامِ. انتهى.

فوَصَفَه في هاتين الصفتينِ بتحقيقِ العُبوديةِ في نَفسِه؛ أولاً علماً وعملاً، وثانياً: دعوةً وتعليماً واقتداءً به، وما كان يقتدَى به إلا لعَمَله به في نفسِه، ووَصَفَه في الثانية بالاستقامةِ على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] فتَضمَّنت العلمَ والعملَ والاستقامةَ والدعوةَ.

الثالثةُ: أنه كان حنيفاً، والحَنَفُ: الميلُ، أي: مائلاً مُنحرِفاً قَصداً عن الشركِ ؛ كما قال تعالى حكايةً عنه: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ =

= ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠][1]. [١٣٦]

[شرح١٣٦] والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان مع إمامته وقنوته في طاعة الله جل وعلا، مستقيماً على توحيد الله والإخلاص له، لا ينحرف هكذا ولا هكذا في حال الشدة والرخاء؛ بل وفي حال شدته وفي حال رخائه مستقيماً على توحيد الله والإخلاص له، لا ينحرف عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا﴾؛ فهو مقبل على الله ومعرض عمن سواه؛ فمستقيم على توحيد الله.

ويقال لأهل التوحيد: هم الحنفاء؛ لاستقامتهم على توحيد الله، وميلهم عن الطرق الأخرى والأديان الأخرى والملل الأخرى، فهم مالوا إلى الله ﷻ واستقاموا على توحيده، وأخلصوا له العمل في جميع أحوالهم، بخلاف غيرهم ممن يميل مع الرياح أينما مالت ولا يستقيم.

---

(١) ص٦٢.

۞ الرابعةُ: أنه ما كان مِن المشركين، أي: هو موحِّدٌ خالصٌ من شوائبِ الشِّركِ مطلقاً ؛ فنفى عنه الشركَ على أبلغِ وجوهِ النَّفي، بحيث لا يُنسَبُ إليه شِركٌ وإن قَلَّ، تكذيباً لكفار قريشٍ في زعمِهِم أنهم على مِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلامُ.

وقال المصنِّفُ في الكلام على هذه الآية:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لئلا يستوحشَ سالكُ الطريقِ مِن قِلَّةِ السالكين.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ لا للملوكِ ولا للتجّار المُترَفين.

﴿حَنِيفًا﴾ لا يميلُ يميناً ولا شمالاً كفعل العلماءِ المفتُونين.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خلافاً لمن كَثّر سوادَهم وزعمَ أنه من المسلمين.

قلتُ: وهو مِن أحسنِ ما قِيل في تفسيرِ هذه الآية؛ لكنه ينبِّهُ بالأدنَى على الأعلَى.

وقوله: «لئلا يستوحشَ» تنبيهٌ على بعضِ معنَى الآية، =

= وهو المنفردُ وحدَه بالخيرِ.

وقد روى ابنُ أبي حاتم، عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾، كان على الإسلامِ، ولم يكن في زمانِه مِن قومِه أحدٌ على الإسلامِ غيرُه، فلذلك قالَ اللهُ: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾. ولا تنافي بينَه وبينَ كلامِ ابنِ مسعودٍ المتقدِّم[1]. [١٣٧]

[شرح١٣٧] وهذا ثبت في «الصحيحين»[2]: أنه لما ذهب إلى بلد الملك، وطلب الملك سارة، قال: إنكِ أختي في الإسلام، وأمرها أن تقول: إنها أخته في الإسلام؛ لأنه ليس على الحق غيري وغيرك، هذا صريح بأنه ليس هناك أحد على الإسلام في ذاك الوقت سوى سارة زوجته.

وهذا كلام من المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كلام عظيم: «لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين»؛ يعني: إذا تذكر أن إبراهيم مشى على الحق وحده، =

---

(١) ص٦٣.

(٢) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٥٨)، ومسلم: الفضائل (٢٣٧١).

.....

= وصبر عليه، وخالف أهل الأرض، يكون هذا مما يؤنسه ويعينه على الصبر.

ولا يقول: كيف تكون الناس على كذا وأنا على كذا، هذا يعين طالب الحق على الصبر على الحق، وإن كان وحده، في أي بلد، أو في أي قبيلة، أو في أي قرية، إذا تذكر أن إبراهيم صبر على الحق، وسار عليه ليس معه أحد، حتى هدى الله زوجته وسارت معه؛فهذا مما يعينه على الصبر على الحق الذي معه، وإن خالفه الناس، وإن خالفه قومه، وإن خالفه جماعته، وأصحابه ما يبالي ما دام بصيراً بالحق، يعني يعلم أنه على الحق بالأدلة، ما عنده شك، فلا يضره قوله وإن خالفه الناس.

ولهذا روي عن بعض السلف قول القاضي عياض وغيره، يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين؛ يعني كن على ثبات وعلى يقين وعلى قوة في سلوك الطريق وإن خالفك الناس.

كذلك قوله: ﴿قَانِتَا لِلَّهِ﴾، يشير بهذا إلى أن بعض الناس قد =

.....

= يتظاهر بالقنوت والطاعة والعمل الصالح الدائم؛ لكن ليس لله، فقد يكون صواماً قواماً كثير العبادة؛ ولكنه لأمر آخر، فليس لله؛ بل إما للملوك وإما للتجار، وإما أن يعطى كذا أو يأخذ كذا أو ليتحيل على شيء من الأمور، حتى يظن الناس أنه على هدى، وأنه طيب وهو منافق؛ إنما جاء لغرض وفعل هذا لغرض.

كذلك ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: لم يمل يميناً وشمالاً كفعل المفتونين، فإن بعضاً ممن ينتسب إلى العلم لا يثبت على طريقة، فهو تارة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء، مذبذب؛ كما قال الله عن المنافقين؛ لأنه ليس هدفه الإخلاص لله؛ بل له أهداف أخرى فلهذا لا يثبت على قدم، ولا يثبت على طريق؛ بل ينحرف هكذا وهكذا؛ لأنه مفتون بالدنيا أو مفتون بشهوات أخرى من غير المال؛ فالحاصل أنه ليس على ثبات؛ بل له أهداف كثيرة يميل معها؛ أما دعاة الحق من الأنبياء وأتباعهم بإحسان، فهدفهم واحد، وهو دعوة الناس إلى دين الله، وصبرهم على طاعة الله، وجمع الناس على الخير، وليس لهم هدف آخر.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بخلاف من أخلص لله ووحده؛ =

.....

= ولكنه سار مع الكفار في بلادهم، ومجتمعاتهم، وأعيادهم، وأسفارهم، وإقامتهم؛ فيكثر سوادهم بحيث يعدّه العادّ منهم، فإذا رآه لا يميزه؛ بل يعده منهم؛ أما من كان بينهم للدعوة إلى الله، وإنكار الباطل، والدعوة إلى الخير، وتبصيرهم بقصد صالح، فهو ليس داخلاً في هذا المعنى، إنما هذا المعنى فيمن دخل بينهم للطمع في الدنيا والشهوات والأكل والشرب أو ما أشبه ذلك من حظوظ عاجلة، فهو يكثر سوادهم، ولا يكون عنده دعوة لهم إلى الخير وتنوير لهم وجهاد لهم وتبصير لهم؛ بل هذا نوع آخر.

فالحاصل أن كون الإنسان معهم يكثر سوادهم، هذا عيب، وهذا ضرر عليه وعلى غيره، إلا إذا أظهر خلافهم؛ فأظهر الدعوة إلى الله وإلى الإسلام، وإلى اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، فهذا يعرف أنه ليس منهم؛ وإنما جاء لغرض الدعوة، أو لأمر آخر دعاه إلى المجيء؛ لكنه أظهر دينه، وأظهر توحيده فلم يعدّ منهم؛ بل أظهر ما يخالفهم؛ ولهذا قال العلماء: لا يجوز الذهاب إليهم ولا إلى بلادهم إلا لمن أظهر دينه، وكان على علم؛ لئلا يضره جلوسه بينهم، ولئلا يشبهوا عليه، ولئلا يردوه إلى الكفر بالله، هذا إذا كان =

.....

= بينهم على علم وعلى هدى وعلى بصيرة، يدعوهم إلى الله جل وعلا، كان ذلك طريقاً للسلامة، وعدم الوقوع فيما هم فيه أو الميل إليهم إذا شبهوا عليه.

ومع هذا قال بعضهم: حتى ولو كان على علم بُعدُه عنهم أولَى وأسلم؛ ولكن هذا محل تفصيل ومحل نظر فيما يتعلق بالدعوة إلى الله ﷻ، فمن كان على علم وعلى بينة وعلى بصيرة، ساغ له أن يكون بينهم للدعوة؛ لهذا الغرض؛ لإنقاذهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما قامت الرسل بين الكفار؛ لهذا الغرض، وكما قام النبي ﷺ بين كفار أهل مكة مدة طويلة حتى آذوه، وحتى اجتمع رأيهم على قتله؛ فأخرجه الله من بين أظهرهم، كل هذا للدعوة إلى الله لإنقاذهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، هم يعرفون أنه على غير دينهم، وليس معهم، وأنه على شيء وهم على شيء؛ ولذلك عادوه وعادوا أصحابه وآذوه.

الحاصل أن قوله جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لم يك مع المشركين بأي وجه من الوجوه، لا بانتسابه إليهم، ولا =

.....

= بإظهاره موافقتهم على دينهم الباطل، ولا بغير هذا مما يظن أنه منهم وأنه معهم؛ بل كان ذلك من شأنه واضحاً في أنه ليس على دينهم، وليس على طريقهم، وإن كان وحده على الحق، وإن كان ما معه إلا قليل كزوجته أو ابن أخيه؛ لكنه واضح من أعماله وأقواله أنه ليس منهم*.

* **س: هل صحيح أنه عندما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا رب ليس في الأرض يعبدك غيري أنزل الله ثلاثة من الملائكة يصلون معه ؟**

ج: لا أعرفه، الله أعلم.

س: هل يكون إظهار الدين بين المشركين بإقامة الصلاة فقط؟

ج: المعروف بين العلماء أن هذا لا يكفي، فلا بد من الدعوة، ولا بد من إظهار التوحيد وإظهار ما جاءت به الرسل؛ أما مجرد الصلاة فهم لا يبالون بهذا الشيء، ولا يحصل به المقصود، الذي يحصل به المقصود هو إظهار البراءة من الشرك، وإظهار الدعوة إلى التوحيد، فهذا هو إظهار الدين، وهذا الذي قرره أهل العلم.

س: البراءة من الشرك أن تسب ساب الله!

ج: لكن هذا قد لا يعدونه سباً، وقد يعدونه سباً ولا يضرهم، وإذا =

.....

= كان يضرهم فما الداعي إلى إقامته بينهم، فإن لم يكن له مصلحة في الإقامة بينهم، فليبتعد عنهم.

س: شاب يسأل: بمناسبة ذكركم أن طالب العلم لا ينبغي له أن يكون مذبذباً مرة مع هؤلاء ومرة مع هؤلاء، يقول: الآن كثر في العالم الإسلامي جماعات كلها اسمها جماعات إسلامية، وكل واحدة من هذه الجماعات تحاول بأي وسيلة من وسائل التوجيه أن تظهر بأنها متبعة للكتاب والسنة في كل شعبة من شعب الحياة، وأنتم تعرفون هذه الجماعات في الجملة، يقول: فما الذي تنصحون به؟ أأتبع هذه الجماعات كلها أو أتبع جماعة معينة أو أترك هذه الجماعات؟

ج: ننصحه أن يكون مع الحق أينما كان، مع الحق الذي مع هذه الجماعة، ومع الحق الذي مع الجماعة الأخرى، ويحذر الباطل الذي مع هذه أو مع هذه؛ فأينما يكون وأينما يحل يكون مع الحق، سواء مع هذه الجماعة أو مع هذه الجماعة، مع الجماعة التي في أمريكا، أو الجماعة التي في نجد، أو الجماعة التي في كذا.

س: ولكن كل جماعة تلزمه بكل ما تعتقده.

ج: لا يلتزم، إذا ألزمته لا يلتزم إلا بالحق، فلا أحد يلزمه إلا الله ﷻ؛ فإن ألزمته الجماعة بشيء؛ فإن كان حقاً فليلتزم به، وإن كان باطلاً فليدعه وإن سخطت، لا طاعة لـمخلوق في معصية الخالق، ومع هذا يستخدم =

.....

= الأساليب الحسنة التي يكون بها داعية، ما هو مجرد ترك فقط، يتركه ويعتني بإصلاحه، يوجه الجماعة إلى الحق، يقول لها: إني تركت هذا لأجل هذا، فيقيم الدليل بالأسلوب الحسن الذي يعم به النفع، ومنه رد الشارد إلى الحق والهدى، فهو يكون مباركاً نافعاً هادياً، مع كونه لم يوافق على الباطل، فلا يكون بالعنف والشدة والإعراض والغفلة؛ بل يكون بالدليل والبرهان والحكمة والكلام الطيب والأسلوب الحسن حتى يهدي ويهتدي.

س: حديث: حدثوا الناس بما يعرفون ؟

ج: هذا أثر عن علي بن أبي طالب الصحابي الجليل ﷺ، رواه البخاري في «الصحيح» عن علي ﷺ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[1]، هذا في أول «الصحيح» في العلم أو في كتاب الإيمان.

س: بعض الناس عندهم حب للصلاة وحب للصيام، وعندهم بعض الأشياء الشركية أو أشياء مخالفة؛وإذا ما قال له أحد: لا تفعل هذه الأشياء الشركية قبل تعظيمكم للصلاة، وحبكم لها، فإنهم يقولون له: كفرتنا؟!

ج: الداعي إلى الله يكون حكيماً، يعظم الصلاة في قلوبهم، يدعوهم إلى =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٧).

.....

= الصلاة والصيام، وإلى بر الوالدين، وإلى صلة الرحم، وإلى إكرام الضيف، وإلى الصدق ، وإلى ترك الزور وشهادة الزور، حتى يثبت في قلوبهم علمه وفضله، ثم يأتي إلى ما هم في من الباطل فينبه عليه، يعني يسلك الطريق التي يراها هي أقوم وأحرى لأن يقبلوا منه؛ لأنهم يدَّعون الإسلام وهم كفار صرحاء مثل قريش تبدؤهم بالتوحيد، هم قد يدعون أنهم خير منك، وأنهم أفضل منك، فتأتيهم بالشيء الذي يجعلهم يقبلون عليك ويرغبون فيك، ويقدرون علمك.

س: بمناسبة الصلاة على الجنازة اليوم إذا صلي على الجنازة هل يكون بعدها ذكر كباقي الصلوات الأخرى أم الأولى أن يخرج.

ج: إذا صلي على الجنازة ثم ذكر الذكر المشروع سواء كان جالساً أو واقفاً أو ماشياً؛فلا بأس في ذلك.

س: ماذا لو قرأ مع الفاتحة في صلاة الجنازة سورة قصيرة ؟

ج: قراءة سورة قصيرة جاءت فيها عدة أحاديث جيدة.

س: بعضهم يقول: إنها شاذة.

ج: غلط، وردت عن ابن عباس وعن غيره، وذكرها الشيخ ناصر الدين الألباني وغيره.

س: أأثبتها الألباني بالأحاديث؟

ج: نعم. =

.....

= **س: ما الفرق بين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الجهاد في سبيل الله؟**

ج: الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد كلها فروض كفاية، إن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به من يكفي، فكل له نصيبه من الدعوة حسب علمه.

ونعتقد أنه ما قام أحد الآن بالواجب كما ينبغي، فهذا الفرض الكفائي ما تم، فنعتقد أنه ينبغي لكل طالب علم أن يقوم بما يستطيع من الدعوة إلى الله، والتوجيه إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل حسب طاقته ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فلا ينبغي له أن يقول: الناس قاموا بهذا، أو هناك علماء، أو هناك كذا؛ لأن هذا مما يأتي به الشيطان، ليثبط الناس عن الدعوة إلى الله، والنهي عن المنكر، ويقول: إن قمت أنا بذلك وحدي فإن هذا لن يكفي، إن هناك من هو أكبر مني؛ ويكتفي بذلك؛ فلا يصلح هذا ولا ينبغي أن يكون.

وإنما يجب عليه، إن كان في محل به منكر، وليس هناك من ينكره غيره، ودخل في حديث «من رأى منكم منكراً»[1]، أما إن كان هناك منكر، لكنه وجد آخر وقام به فأنكره، فقد كفاه المؤونة، إن زال المنكر. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٤٩).

.....

= **س: إن رأى أحدهم ما ينكر على بعض المصلين مع وجود الإمام؛هل ينبه عليه؟**

ج: إن كان عنده علم جزاه الله خيراً، لكنه لا يتكلم إلا عن علم.

س: إن كان الحق لا يتعدد، فهل يسوغ أن تتعدد الجماعات، وتخالف كل واحدة الأخرى في منهاجها، وتحاربها باسم الإسلام؟

ج: ما يجوز المحاربة بغير الحق.

أما إن تعددت الجماعات، ورأوا في هذا مصالح، كأن هذا في أمريكا، وهذا في لندن، أو هذا في الشمال وهذا في الجنوب، وقصدهم التعاون على البر والتقوى، وليس قصدهم الدنيا وحطامها، ولا الفخر والخيلاء، ولا الرياء، وإنما قصدهم الحق، فلا يضر ذلك.

لكن لا يكون لهم هوًى، فيحبون أن يفخروا على الآخرين، أو يضعفوا شأنهم، بل من شأنهم التعاون على البر والتقوى، وإرشاد الآخرين إلى الحق والهدى إذا غلطوا.

أما إذا كان قصدهم التنافس والفخر والخيلاء والغرض الدنيوي فهذا حرام على الجميع، ولا يجوز.

أما إن كان قصدهم الحق والتعاون على البر والتقوى، فالعالم الإسلامي فسيح واسع، ومحتاج للدعوة، وإلى التوجيه، فقد يكون عند هؤلاء من التنظيم ما ليس عند أولئك، وقد يكون عندهم من النشاط ما =

.....

= ليس عند أولئك، فكل يعمل بما يستطيع من العلم والخير.

س: هل طلب العلم واجب على كل مسلم؟

ج: يجب على كل مسلم أن يتعلم ما لا يسعه جهله، فيتعلم كيف يوحد الله، ولماذا خلق، وما هو الواجب عليه، فيتعلم حسب طاقته، لا أن يتوسع في العلوم حتى يكون عالماً كبيراً، المفروض أن يتعلم ما أوجب الله عليه، وما حرمه عليه.

س: ما صحة قول: إن الدعوة أحياناً تكون مكية لا مدنية؟

ج: ليس هذا بصحيح، فعند ظهور الشر مع العجز عن التنفيذ تكون مكية، فإن لم يستطع إلا باللسان كانت مكية، وإن استطاع الدعوة باللسان وبالعمل، تكون مدنية.

obeikandl.com

۞ قوله: وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، مناسبةُ الآيةِ للترجمةِ من جهةِ أن اللهَ تعالى وصفَ المؤمنينَ السابقينَ إلى الجناتِ بصفاتٍ؛ أعظمُها الثناءُ عليهم بأنَّهم بربِّهم لا يشركون، أي: شيئاً من الشِّركِ في وقتٍ من الأوقاتِ، فإن الإيمانَ النافعَ مطلقاً لا يوجد إلا بتركِ الشِّركِ مطلقاً.

ولما كان المؤمن قد يعرضُ له ما يَقدَحُ في إيمانه مِن شركٍ جَليٍّ أو خَفيٍّ نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك، فقد بلغَ من تحقيقِ التوحيدِ النهايةَ، وفازَ بأعظمِ التجارةِ، ودخل الجنةَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ.

قال ابنُ كثيرٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، أي: لا يعبدون معه غيرَه، بل يوحِّدُونه، ويعلمون أنه لا إلهَ إلا اللهُ، أحدٌ صمدٌ لم يتَّخِذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظيرَ له[1]. [١٣٨]

[شرح١٣٨] وهذا من المؤلف اختصار على نهاية الآية ونهاية =

(١) ص٦٣-٦٤.

.....

= الصفات، وكان المناسب أن تذكر الصفات لأن الله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

هذه صفات السابقين الأخيار الذين وعدهم الله بالجنة والكرامة، وأنهم سابقون إلى الخيرات، فهم من خشية الله مشفقون، من خوفه ﷻ والحذر منه أشفقوا من عذابه، وأشفقوا من غضبه، حتى سارعوا إلى مراضيه، وتباعدوا عن مناهيه، هذه صفات عباد الله السابقين: عندهم خشية لله، وتعظيم لحرماته، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

فالخشية الصادقة والخوف الصادق يقتضي أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، والمسابقة إلى كل خير، وهذه صفة أولياء الله، وصفة أحبابه الذين سارعوا إلى مراضيه، وتباعدوا عن مساخطه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون] أي: من صفاتهم أنهم أهل إيمان بآيات الله المتلوة في القرآن والإنجيل =

.....

= والزبور وغيرها من الكتب، وبآياته المشاهدة يؤمنون أيضاً، بآياته من جبال وبحار وأنهار وأرض وسماء، وحيوانات وغير ذلك.

فهم بآيات الله يؤمنون ويصدقون أنها حق، وأنها مخلوقات له جل وعلا، وأنها دلائل على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه مستحق للعبادة، كما أن آياته المتلوة كذلك في كتاب الله العزيز وكتبه السابقة، كلها دلائل على أنه رب العالمين، وأنه القادر على كل شيء، وأنه مستحق لأن يعبد ويعظم ﷻ.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩]، ختمها بهذا الوصف الدال على كمال توحيدهم وكمال إخلاصهم، ولهذا خشوه ـ سبحانه ـ وراقبوه وعظموه وآمنوا بآياته ﷻ، ثم على ضوء ذلك، وعلى ضوء ما استقر في قلوبهم من الإيمان، والخوف لله والتعظيم له ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

هذه من صفات أولياء الله أنهم يؤتون ما آتوا من الأعمال والفرائض والطاعات وقلوبهم وجلة، أي: أنهم يعملون الأعمال =

.....

= الصالحة من واجبات ومستحبات، ومع ذلك قلوبهم وجلة، يخشون أن ترد عليهم أعمالهم، يخشون أن لا تقبل منهم، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسولَ الله، في هذه الآية أهو الرجلُ يشربُ الخمرَ ويزني؟ قال: «لا، ولكنه الرجل يصومُ ويصلِّي ويتصدَّق ويخاف ألا يُقبَل منه»(١)، فأهل الإيمان هكذا يعملون مع الخوف والحذر، ولما قالت عائشة: يا رسولَ الله، إن رأيتُ ليلةَ القدر ما أقولُ فيها؟ قال: «قولي: اللهمَّ إنكَ عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي»(٢).

فأهل الإيمان والصدق مع اجتهادهم، ومع حذرهم، ومع استقامتهم يخافون الله ويخشونه كثيراً، ويخافون أن ترد عليهم أعمالهم، ويتضرعون إليه بطلب العفو ﷻ.

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] أي: خائفة مشفقة من الله ﷻ =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه: الزهد (٤١٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥١٣)، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٥٠).

.....

= مع كمال إيمانهم، فهم مع إحسانهم ومع إيمانهم أشد خوفاً من أهل المعاصي والسيئات، وما ذاك إلا لأن هؤلاء قد عرفوا الله حق المعرفة وعرفوا أنه العظيم المستحق لأن يخاف ويحذر، بخلاف الفساق وأهل المعاصي والكفر؛ فلأنهم في غاية من الظلمة والبعد عن الله ﷻ.

فأهل الشرك في غاية من الظلمة والبعد، وأهل المعاصي عندهم من الظلمة والنقص في إيمانهم والضعف في بصيرتهم، ما يجعل خوفهم ضعيفاً؛ ولهذا أقدموا على المحارم، وتساهلوا في الفرائض.

وما ذاك إلا من أجل ضعف الإيمان، وضعف المعرفة في قلوبهم، ولو عرفوا الله حق المعرفة، وعرفوا حقه عليهم، وعرفوا عظمته، وعرفوا صفاته، لسعوا إلى مراضيه، ولابتعدوا عن مساخط الله ﷻ، و لما كانوا هكذا، ولكن جهلهم بالله وجهلهم بتفاصيل دينه أوقعهم فيما أوقعهم فيه من الشرك والكفر بالله ﷻ والمعاصي.

وعلى إثر هذه الصفات العظيمة وخشيتهم لله وبصيرتهم به ﷻ سارعوا، ولذلك قال: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ =

.....

= [المؤمنون:٦١] أي: أولئك الذين هذه صفاتهم من الإيمان والخشية لله والتوحيد الخالص والوجل من الله والخوف منه.

وقوله جل وعلا: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: سارعوا إلى الطاعات، وأنواع الخير من الجهاد، والصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وزيارة المرضى، وإكرام الضيف، وصدق الحديث، وغير ذلك.

سارعوا إلى كل خير خوفاً من الله، وتعظيماً له، وإيماناً به، وصدقاً في طلب مرضاته ﷻ؛ ولهذا سبقوا إليها ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ سارعوا وسبقوا، فمن كان هدفه صالحاً، وكان عن بصيرة وعن رغبة تامة، يسارع فيسبق؛ والله المستعان.

۞ قال: عن حُصَين بنِ عبدِ الرحمنِ، قال: كنتُ عندَ سعيدِ ابنِ جُبَيرٍ، فقال: أيُّكُم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارِحةَ؟ قلتُ: أنا، ثم قلتُ: أما إنِّي لم أكُن في صلاةٍ، ولكني لُدِغتُ، قال: فما صَنَعتَ؟ قلتُ: ارتَقَيتُ، قال: فما حملكَ على ذلكَ؟ قلتُ: حديثٌ حدَّثَناهُ الشعبيُّ، قال: وما حدَّثَكُم الشعبيُّ؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُرَيدَةَ بنِ الحُصَيبِ أنه قال: لا رُقيَةَ إلا مِن عينٍ أو حُمَةٍ ، فقال: قد أحسنَ مَن انتهَى إلى ما سَمِع، ولكن حدَّثنا ابنُ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قال:

«عُرِضَت عليَّ الأُممُ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ وليس معه أحدٌ، إذ رُفِع لي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أنهم أُمَّتي، فقيل لي: هذا موسَى وقومُه، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أُمَّتُكَ ومعهم سبعونَ ألفاً يدخلون الجنةَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ».

ثم نَهَضَ فدخلَ منزِلَه فخاضَ الناسُ في أولئك، فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صَحِبوا النبيَّ ﷺ، وقال بعضُهم: =

= لعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلامِ فلم يُشرِكُوا بالله شيئاً، وذكروا أشياءَ، فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه، فقال:

«هُمُ الذين لا يَسترقُونَ ولا يَكتَوُون، ولا يَتطيَّرُونَ، وعلى ربِّهم يتوكَّلُون». فقامَ عُكّاشَةُ بنُ مِحصَنٍ فقال: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ أن يجعلنِي منهم! فقال: «أنتَ منهُم» ثم قامَ رجلٌ آخرُ فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلنِي منهم! فقال رسولُ الله ﷺ: «سبقَكَ بها عُكّاشَةُ».

هكذا أوردَ المصنِّفُ هذا الحديثَ غيرَ معزُوٍّ، وقد رواه البخاريُّ مختصراً ومطولاً، ومسلمٌ واللفظُ له، والترمذيُّ، والنَّسَائيُّ[1].

قولُه: (عن حُصَينِ بنِ عبدِ الرحمن) هو السُّلَميُّ أبو الهُذَيل الكوفيُّ، ثقةٌ، تَغيَّرَ حِفظُه في الآخرِ، مات سنة ستٍّ وثلاثينَ ومئة، وله ثلاثٌ وتسعونَ سنةً. =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠). والترمذي: صفة القيامة (٢٤٤٦)، والنسائي في «الكبرى»: الطب (٧٥٦٠).

= وسعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الإمامُ الفقيهُ مِن جِلَّةِ أصحابِ ابنِ عبَّاسٍ، روايتُه عن عائشةَ، وأبي موسى مُرسَلةٌ، وهو كوفيٌّ مولًى لبني أَسَدٍ، قُتِل بين يَدَيِ الحجاجِ سنةَ خمس وتسعين، ولـم يُكمِل الخمسينَ[1]. [١٣٩]

[شرح١٣٩] قُتِل سعيدُ بن جبير بين يدي الحجاج ظلماً وعدواناً، و كان الحجاج قتل أناساً كثيرين، يزعم أنهم ممن دخلوا في نقض البيعة لعبد الملك بن مروان، ثم كانوا مع ابن الأشعث في جهاد الروم، ثم صار هناك كلام في عبد الملك وفي الحجاج بن يوسف، وحصل للمسلمين اختلاف بذلك، ثم أجمعوا رأيهم على خلع الحجاج، ثم خلعوا بعده عبد الملك، فصار بسبب ذلك أشياء، ثم اجتمع الحجاج وابن الأشعث وصار بينهم مقتلة عظيمة في دير الجماجم، ووقعات عدة، ثم بعد ذلك صار الحجاج يتتبع من كان في هذا الغزو ويقتل من وجد منهم.

وهذا من جهله وظلمه، فإنه كان من الواجب لما انقضت المعركة، وانتهت الحرب، الكف عن الناس، وانتهى الأمر، ولكنه =

---

(١) ص٦٣-٦٤.

.....

= لظلمه وتهاونه بالدماء، كان يتتبع من كان في هذا الغزو، وكان ينسب إليهم أنهم من أهل الضلال، وكان من جملتهم سعيد بن جبير، وكان معهم من الجماعة من الفقهاء والعلماء فقتلهم*.

* **س: هل المظالم هذه التي عملها الحجاج يصلح معها أن نقول عنه: إنه كافر؟**

ج: لا هذه من جنس المظالم الأخرى ما يكفر بها، لكنه على خطر عظيم، نسأل الله السلامة.

س: وما تأويلهم في قتالهم؟

ج: تأويلهم في هذا أنهم تعدوا الحدود، وأنهم خرجوا على ولي الأمر، وأنهم يخشى من شرهم إفساد الدولة.

س: إذن هو نفس تأويل المقاتلين ممن كان مع ابن الأشعث والفقهاء؟

ج: الظاهر والله أعلم أنه من ظلم الحجاج وتساهله في الأمور، تأولوا أنه ينبغي خلعه لظلمه وعدوانه، ثم قال لهم قائل: إذا خلعتموه فعليكم أن تخلعوا رئيسه عبد الملك لأنه فرع، فصار بعضهم إلى هذا الشيء، لأن عبد الملك أقره على هذا الظلم، فوجب خلعه لظهور المعاصي وظهور الظلم، وخفي عليهم قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «إلا أن تَرَوا =

.....

= كفراً بَواحاً عندَكم من الله فيه برهانٌ»[1]، لأنه ليس كل واحد عنده علم كامل فاجتهدوا، غفر الله لهم.

س: السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هل يمرون بالصراط؟

ج: ولكن لا يضرهم مرورهم بالصراط، يمرونه وهم مرتفعون عليه فلا يضرهم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء:١٠٢].

*** س: إذاً إذا كان قبل الزوال نقول: الليلة؟**

ج: نعم، وبعده البارحة، وقد يقال: البارحة ولو قبل الزوال، وردت أخبار تدل على هذا منها حديث الرسول ﷺ عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا»[2]، وفيه دليل لجواز إطلاق البارحة على الليلة الماضية وإن كان قبل الزوال.

س: نخرج من النص الأول بأنه ليس من قول الرسول ﷺ الذي يقول ما بعد الزوال وما قبل الزوال؟

ج: هذا كلام ثعلب من أئمة اللغة، وليس من كلام الرسول ﷺ. =

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧٠٥٦).

(٢) أخرجه مسلم: الرؤيا (٢٢٧٥).

.....

= يصير معناه أن اللغة يغلب فيها هذا، وتستعمل أيضاً البارحة قبل الزوال، ذهبوا إلى ذلك أي: يغلب على كلامهم البارحة فيما بعد الزوال وقد يقولون أيضاً في بعض الأحيان: البارحة؛ قبل الزوال.

obeikandl.com

۞ قولُه: (انقَضَّ) هو بالقافِ والضادِ المعجمةِ، أي: سقطَ، و(البارحةَ) هي أقربُ ليلةٍ مَضَت، قال أبو العباسِ ثَعلبٌ: يُقال قبلَ الزوالِ: رأيتُ الليلةَ، وبعدَ الزوالِ: رأيتُ البارحةَ، وهكذا قال غيرُه، وهي مشتقة مِن بَرَح: إذا زال[1]. [١٤٠]

[شرح١٤٠] قد جاء في بعض النصوص ما يدل على أنه يقال: البارحة ولو في أول النهار، لكن هذا هو الأغلب فالبارحة بعد الزوال، وقبل الزوال يقال: الليلة، وورد في بعض النصوص ما يدل على أنه تسمى البارحة، وإن كان الحديث في أول النهار، لأنها مضت الليلة*.

---

(١) ص٦٥.

obeikandl.com

۞ قولُه: (أمَا إنِّي لم أكُن في صلاةٍ) القائلُ حُصينٌ خاف أن يَظُنَّ الحاضرونَ أنه ما رأَى النَّجمَ إلا لأنه يصلِّي، فأراد أن ينفيَ عن نفسه إيهامَ العبادةِ وأنه يصلِّي، مع أنه لم يكُن فَعَل ذلك، وهذا يدلُّ على فضلِ السلفِ الصالحِ وحرصِهم على الإخلاصِ، وشدَّةِ ابتعادِهِم عن الرياءِ، بخلافِ من يقول: فعلتُ وفعلتُ؛ لِيُوهِمَ الأغمارَ أنه مِن الأولياءِ، وربما عَلّقَ السُّبْحَةَ في عنقِه، أو أخذَها في يدِه يمشي بها بين الناسِ؛ إعلاماً للناسِ أنه يسبِّح عددَ ما فيها من الخرزِ.

وقد قال الإمامُ محمدُ بن وَضَّاح: حدثنا أسدٌ، عن جَريرِ بن حازم، عن الصَّلتِ بنِ بَهْرام، قال: مَرّ ابنُ مسعودٍ بامرأةٍ معها تسبيحٌ تُسبِّح به، فقَطَعَه وألْقاه، ثم مرَّ برجلٍ يُسبِّح بحصًى فضربه برِجْله، ثم قال: لقد جئتُم ببِدْعة ظلماءَ، أو لقد غَلَبتُم أصحابَ محمدٍ ﷺ عِلماً[1].[2] [١٤١]

[شرح١٤١] أي: أنتم بين أمرين: إما أنكم جئتم ببدعة ظلماء، أو =

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٤٠٩) و(٥٤١٠) دون ذكر مروره بالمرأة.

(٢) ص٦٥.

.....

= أنكم فقتم أصحاب محمد ﷺ علماً وغلبتموهم، والثاني غير صحيح، فعلم أنه الأول، وأنهم جاؤوا ببدعة ظلماء لا وجه لها، أي: أن إظهارهم التسبيح بالحصى أو بشيء يعلق بالحلقة أو باليد، أو يسبحون بخرزات، أن هذا شيء أحدثتموه بعد أصحاب محمد ﷺ، وهو من البدعة بإظهار التعبد بأشياء ما تعبد بها الأولون، ويكفي التعبد بالأصابع، فإن الأصابع مسؤولة مستنطقة، فالتعبد بها هو المشروع عند التسبيح*.

* س: هل هناك دليل على أنه لا يسبح إلا باليمين؟

ج: ورد في بعض الأحاديث حديث جيد وهو الأفضل، فلا بأس به أنه كان يعقدها بيمينه، ولكن إذا عقد باليدين فلا بأس، لأنه جاء في حديث آخر ما يدل على العقد بالأصابع كلها، ولكن اليمين أفضل؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن.

س: هل هناك حديث جاء بعدم التسبيح بالأصابع اليسرى؟

ج: إطلاق الحديث عند أبي داود وغيره أنه أمر أن يعقد بالأصابع وقال: «إنهن مسؤولات مستنطقات»[1]. =

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٨٣)، وأبو داود: الصلاة (١٥٠١).

.....

= **س: لكن هذه الرواية مقيَّدة برواية «سنن أبي داود» باليمنى؟**

ج: جاء هذا وهذا؛ فيحمل على التوسعة؛ فهذا أفضل وهذا جائز.

س: لكن يعرف أن المطلَق أحياناً يقيَّد، فرواية عائشة: كان رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بأصابع يده اليمنى[1]، وعائشة كذلك تعرف أن الرسول ﷺ أحواله في البيت من هذا التسبيح، وكذلك ورد في رواية أخرى: أنه بأنامل أصابعه اليمنى، فما أطلقه بعض الرواة يمكن أن يحمل على هذا التقييد.

فمن العموميات: كان الرسول ﷺ يعجبه التيمن في أمره كله[2]، إذا كان لا يمس الذكر باليمنى، كذلك يمكن أن نقول: لا يمس النجس كذلك باليمنى، وعلى هذا فنرى أن لكل يد وظيفة مخصصة بها.

ج: الأصل في هذا التعميمُ والتوسعة وعدم التشديد؛ فاليمنى أفضل والباقي جائز؛ هذا هو الصواب.

---

(١) هذا في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود: الصلاة (١٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري: الوضوء (١٦٨)، ومسلم: الطهارة (٢٦٨).

۞ قولُه: (ولكنِّي لُدِغتُ) هو بضمِّ أولهِ وكسرِ ثانيه، مبني لما لم يُسمَّ فاعلُه، أي: لَدغَتْه عقربٌ أو نحوُها.

قولُه: (قلتُ: ارتَقَيتُ) لفظ مسلم: «استَرقَيتُ» أي: طلبتُ مَن يَرقِيني.

قوله: (فما حملكَ على ذلكَ؟) فيه طلبُ الحُجَّة على صحةِ المذهبِ[1]*.

---

* س: كيف يكون فيه طلب الحجة على صحة الشيء؟

ج: أي: إذا فعل الشيء قال له: ما حجتك على الشيء؟ حتى تتم الفائدة، فالعمل بدون حجة ما تتم الفائدة حتى يكون هناك دليل يدل على هذا الشيء، فالفعل (استرقى) ما أحد يعرف الاسترقاء طلب فيه ذم سؤال الناس.

س: أي هذا يطلب منا الآن، حتى لو كان عامياً؟

ج: المقصود طلب العلم فطلبة هذا البيت طلبة علم، أما العامي يسأل أهل العلم فقط، يسأل عن شرع الله، يسأل: ما هو شرع الله؟ ما هو حكم الله؟ما هو مشروع لي؟ ما هو الواجب علي.

---

(١) ص٦٥.

۞ قوله: (حديث حَدَّثَناه الشعبيُّ) أي: حَمَلني عليه حديثٌ حدَّثَناه الشعبيُّ، واسمه عامر بن شَراحِيل الهَمْداني ـ بسكون الميم ـ الشَّعْبي. وُلِد في خلافةِ عمرَ، وهو من ثِقَات التابعين وحُفَّاظهم وفقهائِهم، مات سنة ثلاث ومئة.

قوله: (عن بُريدَةَ) بضمِّ أوَّله وفتح ثانيه، تصغيرُ بُرْدة (بن الحُصَيْب) بضمِّ الحاء وفتح الصادِ المهملتين، ابنِ عبد الله بنِ الحارث الأسلميِّ، صحابيٌّ شَهِير، مات سنةَ ثلاثٍ وستين. قاله ابنُ سعدٍ.

قوله: (لا رُقْيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ) هكذا رُويَ هنا موقوفاً، وقد رواه أحمدُ وابنُ ماجَهْ عنه مرفوعاً [1]، ورواه أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ عن عِمرانَ بن حُصَين به مرفوعاً [2]. قال الهيثميُّ: رجال أحمد ثقات.

و(العين): هي إصابة العائنِ غيرَه بعينه، و(الحُمَةِ) =

(١) أحمد (١/ ٢٧١)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٣).

(٢) أحمد (٤/ ٤٣٦)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٩)، والترمذي: الطب (٢٠٥٧).

= ـ بضم المهملة وتخفيف الميم ـ: سُمُّ العقرب وشبْهها. قال الخَطَّابي: ومعنى الحديث: لا رُقْيةَ أَشفى أو أَوْلى من رُقْية العَيْن والحُمَة. وقد رَقَى النبيُّ ﷺ ورُقِيَ.

قلتُ: وسيأتي ما يتعلَّق بالرُّقَى إن شاء الله تعالى.

قوله: (قد أَحسَنَ مَن انتهى إلى ما سَمِع) أي: مَن أَخذ بما بَلَغَه من العِلم وعمل به، فقد أَحسن، لأنه أَدَّى ما وَجَب وعمل بما بَلَغه من العِلم، بخِلافِ مَن يعملُ بجهلٍ أو لا يعملُ بما يعلمُ، فإنه مسيءٌ آثمٌ.

وفيه فضيلةُ عِلْم السَّلَف وحُسنُ أَدَبهم وهَدْيهم وتلطُّفهم في تبليغِ العِلْم، وإرشادُهم مَن أَخذ بشيء ـ إنْ كان مشروعاً ـ إلى ما هو أفضلُ منه، وأن مَن عمل بما بَلَغَه عن الله وعن رسولِه فقد أحسنَ، ولا يتوقفُ العملُ به على معرفةِ كلام أهلِ المذاهبِ أو غيرِهم.

قوله: (ولكنْ حدَّثَنا ابنُ عباس) هو عبدُ الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلِب، الهاشميُّ ابنُ عمِّ النبي ﷺ، دعا له النبيُّ ﷺ =

= فقال: «اللهمَّ فَقِّهْه في الدِّين وعَلِّمْه التأويلَ»[1]، فكان كذلك. قال عمر: لو أدرك ابنُ عباسٍ أسنانَنا ما عَشَرَهُ منا أَحدٌ، أي: ما بلغ عُشرَه في العِلْم، مات بالطائف سنةَ ثمانٍ وستينَ.

قال المصنف: فيه عُمقُ عِلْم السَّلَف، لقوله: (قد أَحسَن مَن انتَهى إلى ما سمعَ، ولكن...) كذا وكذا، فعُلِمَ أنَّ الحديثَ الأولَ لا يخالفُ الثاني.

قوله: (عُرِضَت عليَّ الأُمَم) وفي رواية التِّرمذي والنَّسَائي في «الكبرى»[2]، من روايَة عَبْثر بن القاسم، عن حُصَين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلةَ الإسراءِ، ولفظه: لما أُسرِيَ بالنبيِّ ﷺ جعلَ يَمُرُّ بالنبيِّ ومعه الواحدُ. قال الحافظُ: فإنْ كانَ ذلك محفوظاً، كانت فيه قُوَّة لمن ذَهَب إلى تَعدُّد الإسْراءِ وأنَّه وَقَعَ بالمدينةِ أيضاً غيرُ الذي وَقَعَ بمكةَ. كذا قالَ، وليس بظاهرٍ، بلْ قد يكونُ رأَى ذلك ليلةَ =

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦).

(٢) الترمذي: صفة القيامة (٢٤٤٦)، والنسائي: الطب (٧٥٦٠).

= الإسراءِ، ولم يُحدِّثْ به إلا في المدينةِ. وليس في الحديثِ ما يدلُّ على أنه حَدَّث به قريباً من العَرْض عليه.

قوله: (فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْطُ) هو الجماعةُ دونَ العَشَرة، قاله النَّوَويُّ.

قوله: (والنبيُّ ومعه الرجلُ والرجلانِ، والنبيُّ وليس معه أَحدٌ) فيه أن الأنبياءَ مُتفاوِتُونَ في عَدَد أتباعِهم وأنَّ بعضَهم لا يتبعُه أَحدٌ، وفيه الردُّ على مَن احتَجَّ بالأكثرِ وزَعَم أنَّ الحقَّ محصورٌ فيهم، وليس كذلكَ، بل الواجبُ اتِّباعُ الكتاب والسُّنَّة مع مَن كانَ، وأينَ كانَ.

قولُه: (إذ رُفع لي سوادٌ عظيمٌ) السوادُ: ضدُّ البياضِ، والمرادُ هنا الشخصُ الذي يُرَى مِن بعيدٍ، أي: رُفع إليه أشخاصٌ كثيرةٌ.

قوله: (فظننتُ أنَّهم أُمَّتي) استَشكَل الإسماعيليُّ كونَه ﷺ لم يَعرِف أُمَّتَه حتى ظَنَّ أنهم أُمَّةَ موسى عليه السلام، وقد ثبتَ من حديثِ أبي هريرةَ: كيفَ تعرفُ مَن لم ترَ مِن أُمَّتِكَ؟ =

= فقال: «إنهم غُرٌّ مُحَجَّلون مِن أَثرِ الوُضُوءِ»[١].

وأجابَ بأن الأشخاصَ التي رآها في الأُفُقِ لا يُدرَك منها إلا الكثرةُ من غيرِ تمييزٍ لأعيانِهم، وأما ما في حديثِ أبي هريرةَ فمحمولٌ على ما إذا قَرُبوا منه، ذكرَه الحافظُ[٢]. [١٤٢]

[شرح١٤٢] وهذا حق لأنه رآهم من بعيد؛ فهو ﷺ ما رأى إلا السواد، والسواد هي الأشخاص التي يرى سوادها واجتماعها من بعيد لكن لا يتعقب تفصيلها، هذا هو السواد، كذا أو كذا هل هم رجال أو نساء، أو حيوانات أخرى، أي: سواد له شأن وله ضخامة، ولكن ليس بالقريب حتى يعرف تفصيله وصفاته.

فلهذا ظنهم أُمته فكانوا قوم موسى، فإذا قربوا ودنوا عرفهم وميَّزهم عن الأشخاص الأخرى والجماعات الأخرى والأمم الأخرى؛ ميزهم بالعلامة التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام وهي =

---

(١) أخرجه مسلم: الطهارة (٢٤٩).

(٢) ص٦٥-٦٧.

.....

= أنهم غرٌّ محجَّلون من أثر الوضوء*.

* س: الأشخاص التي رآها أم التي رآهم؟

ج: جنس الأشخاص إذا رآها؛ ورآهم للجماعة.

obeikandl.com

۞ قولُه: (فقِيل لي: هذا موسى وقومُه) أي: موسى بنُ عمران كَلِيمُ الرحمنِ، وقومُه الذين اتبعوه؛ وفيه فضيلةُ موسى وقومِه.

قولُه: (فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيمٌ) لفظ مسلم بعد قولِه: «هذا موسى وقومُه»: «ولكنِ انظُر إلى الأُفقِ، فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيمٌ، فقِيلَ لي: انظُر إلى الأُفُقِ الآخرِ، فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيم، فقِيلَ لي: هذهِ أُمَّتُكَ».

قولُه: (ومعهُم سَبعُونَ ألفاً يدخلُون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ) أي: لتحقيقِهِمُ التوحيدَ.

قال الحافظ: المرادُ بالمعيَّةِ المعنويةُ، فإن السبعينَ ألفاً المذكورين من جملةِ أُمَّتِه، لكن لم يكونوا في الذين عُرِضُوا إذْ ذاكَ، فأُريدَ الزيادةُ في تكثيرِ أُمتهِ بإضافةِ السبعينَ ألفاً إليهم.

قلت: وما قالَه ليس بظاهرٍ، فإن في روايةِ ابنِ فُضَيل: =

= «ويدخل الجنةَ من هؤلاء مِن أُمَّتِكَ سبعونَ ألفاً»[١].[٢] [١٤٣]

[شرح١٤٣] ليس معنى ذلك أنهم بعيدون عنهم لكن من جملتهم؛ من جملة هذه الأمة سبعون ألفاً، وفي اللفظ الآخر: «زادَني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفاً»[٣]، فالحاصل أنهم ليسوا بجماعة آخرين خارج عن هذا السواد، بل هم من جملة هذا السواد.

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٤).

(٢) ص٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

obeikandl.com

۞ وقد وردَ في حديثِ أبي هريرةَ في «الصحيحين» وصفُ السبعينَ ألفاً بأنهم: «تُضِيءُ وجوهُهُم إضاءةَ القمرِ ليلةَ البدرِ»[١]، وفيهما عنه مرفوعاً: «أوَّلُ زُمرَةٍ تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ، والذين على آثارِهم كأَحسنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً»[٢].

وجاءَ في أحاديثَ أُخَرَ: أن مع السبعينَ ألفاً زيادةً عليهم، فروى أحمدُ والبيهقيُّ في «البعثِ» حديثَ أبي هريرة في السبعينَ ألفاً؛ فذكره، وزاد قال: «فاستزدتُ ربِّي فزادَني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفاً»[٣]، قال الحافظ: وسندُه جيِّد.

وفي الباب عن أبي أيوبَ عند الطبراني[٤]، وعن حُذَيفة عند أحمد[٥]، وعن أنسٍ عند البزَّار[٦]، وعن ثَوْبان عند ابن =

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٥٤٢)، ومسلم: الإيمان (٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري: بدء الخلق (٣٢٥٤)، ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٨٨٢).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣).

(٦) انظر «إتحاف الخيرة» (١٠٢٤٧)، «المطالب العالية» (٤٦١٤). وأخرجه أبو يعلى =

= أبي عاصم[١]، قال: فهذه طرقٌ يقوِّي بعضُها بعضاً.

قال: وجاء في أحاديثَ أُخَرَ أكثرُ من ذلك، فأخرج الترمذيُّ وحسَّنَه والطبرانيُّ وابنُ حِبّان في «صحيحه» من حديثِ أبي أُمامةَ رفعه: «وَعَدَني رَبِّي أن يُدخِلَ الجنةَ مِن أُمَّتي سبعينَ ألفاً، مع كلِّ ألفٍ سبعينَ، كذا ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ، وثلاثُ حَثَياتٍ مِن حَثَياتِ ربِّي»[٢].[٣] [١٤٤]

[شرح١٤٤] يجوز الرفع والنصب: «سبعون» مبتدأ، و«سبعين» نصب على المفعولية؛ أي: وعدني أن يدخل مع كل ألف سبعين ألفاً؛ فكلٌّ على حسب التقدير*.

---

* س: الحثية الواحدة كم عددها؟

ج: الله ﷻ أعلم بها، لا يحصيها إلا هو؛ على حسب التوحيد والإيمان.

= في «مسنده» (٣٧٨٣).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٥٥).

(٢) الترمذي: صفة القيامة (٢٤٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٤٦). وأخرجه أيضاً ابن ماجه: الزهد (٤٢٨٦).

(٣) ص٦٧.

۞ ورَوَى أحمدُ وأبو يعلَى من حديثِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ سبعينَ ألفاً يَدخُلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، وُجوهُهُم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، قلوبُهُم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فاستَزَدتُ ربِّي ﷻ فزادَني مع كلِّ واحدٍ سبعيَن ألفاً»(١).

قال الحافظُ: وفي سندِه راويانِ: أحدُهما ضعيفُ الحفظِ، والآخرُ لم يُسَمَّ.

قلتُ: وفيه «أن كلَّ أُمَّةٍ تُحشَر مع نبيِّها».

قولُه: (ثم نهضَ) أي: قامَ.

قولُه: (فخاضَ الناسُ في أولئك) قال النوويُّ: هو بالخاءِ والضادِ المعجمتين، أي: تكلَّمُوا وتَناظَروا(٢). [١٤٥]

[شرح١٤٥] في وصف السبعين قلوبهم كقلب رجل واحد، وهذا وصف خاص وإلا فأهل الجنة كذلك، قد جاء في الأحاديث =

---

(١) أحمد (١/ ٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٢).

(٢) ص٦٧-٦٨.

.....

= الصحيحة في «الصحيحين» وغيرهما على أن أهل الجنة قلوبهم كقلب رجلٍ واحدٍ[1]؛ أي: ليس بينهم غل ولا حقد ولا تنافس، بل كلهم على طريقة واحدة، متحابون ليس بينهم غل ولا حقد، فقد نزع الله ما في قلوبهم من غل، فهم على قلب رجل واحد وعلى خلق رجل واحد، أخلاقهم كريمة، وقلوبهم صافية سليمة، هذه حال أهل الجنة جميعاً، لكن هؤلاء السبعين وأشباههم ومن التحق بهم تكون لهم ميزة زائدة في الفضل.

(١) انظر ما ورد في البخاري: بدء الخلق (٣٢٤٦)، ومسلم: الجنة (٢٨٣٤).

obeikandl.com

۞ قال: وفي هذا إباحةُ المناظرةِ في العلمِ والمباحثةِ في نصوصِ الشرعِ على جهةِ الاستفادةِ وإظهارِ الحقِ[1]. [١٤٦]

[شرح١٤٦] أي: لا على سبيل الرياء والسمعة، أو على سبيل الهضم من زيد وعمرو ونحو ذلك وإظهار فضله عليه، بل يكون البحث بين طلاب العلم لقصد الاستفادة، وإظهار الحق، مع قطع النظر عن كونه يظهر على يد فلان أو يد فلان أو يد فلان، وإنما مع الإخلاص والصدق ومع صفاء القلوب؛ إذ المقصود الفائدة فقط.

ولا يجوز أن يكون البحث والمذاكرة من أجل إظهار فضل زيد على عمرو أو خالد على بكر، أو من أجل أن يمدح بذلك، أو أن يرائي الناس به؛ فإن هذا وسيلة إلى ظلمة القلوب، وإلى قسوتها، وإلى ذهاب الفائدة وضياعها. نسأل الله السلامة.

---

(١) ص٦٨.

۞ وفيه: عمقُ عِلْمِ السلفِ لمعرفتِهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعلمٍ[1]. [١٤٧]

[شرح١٤٧] الصحيح «بعملٍ» وإن كان الأصل «بعلم»؛ فصواب العبارة: «لم ينالوا ذلك إلا بعملٍ».

---

(١) ص٦٨.

obeikandl.com

۞ وفيه: حِرصُهم على الخيرِ، ذكَره المصنِّفُ.

قولُه: (فقال: هم الذين لا يَسترقُون)، هكذا ثبتَ في «الصحيحين».

وفي رواية مسلم التي ساقها المصنِّفُ هنا زيادةُ: «ولا يَرقُون» وكأنَّ المصنِّفُ اختصرَها كغيرِها؛ لما قيل: إنَّها مَعلُولةٌ.

قال شيخُ الإسلامِ: هذه الزيادةُ وَهمٌ من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «لا يَرقُون»؛ لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبيُّ ﷺ ـ وقد سئل عن الرُّقَى ـ قال: «مَن استطاعَ منكُم أن ينفعَ أخاه فليَفعَل»[1]. وقال: «لا بأسَ بالرُّقَى ما لم تكنْ شِركاً»[2].

وأيضاً: فقد رقَى جبريلُ النبيَّ ﷺ[3]، ورقَى النبيُّ ﷺ =

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

(٣) أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

= أصحابَه[1].

قال: والفرقُ بين الراقِي والمُسترَقِي: أن المُسترَقِي سائلٌ مُستَعطٍ مُلتَفِت إلى غيرِ الله بقلبِه، والراقي محسنٌ.

قال: وإنما المرادُ وصفُ السبعينَ ألفاً بتمام التوكُّلِ، فلا يسألون غيرَهم أن يَرقِيَهُم ولا يَكوِيَهُم ولا يتطيَّرون.

وكذا قال ابنُ القيِّم، ولكن اعترضَه بعضُهم بأن قال: تغليطُ الراوي مع إمكانِ تصحيح الزيادةِ لا يُصارُ إليه، والمعنى الذي حملَه على التغليطِ موجودٌ في المُرقِي؛ لأنه اعتلَّ بأن الذي لا يطلبُ مِن غيرِه أن يَرقِيَه، تامُّ التوكُّلِ، فكذا يقال: والذي يَفعلُ به غيرُه ذلك ينبغي ألّا يمكِّنَه منه لأجلِ تمامِ التوكُّلِ، وليس في وقوع ذلك من جبريلَ عليه السلامُ دلالةٌ على المدَّعَى، ولا في فعلِ النبيِّ ﷺ له أيضاً دلالةٌ في مقامِ التشريعِ وتبيينِ الأحكامِ. =

(١) انظر البخاري: الطب (٥٦٧٥) و(٥٧٤٣- ٥٧٤٥)، ومسلم: السلام (٢١٩١) و(٢١٩٢) و(٢١٩٤).

= كذا قال هذا القائلُ، وهو خطأٌ من وجوهٍ:

الأولُ: أن هذه الزيادةَ لا يمكن تصحيحُها إلا بحملها على وجوهٍ لا يصحُّ حملُها عليها، كقول بعضِهم: المرادُ: لا يَرقُون بما كان شِركاً أو احتملَه، فإنه ليس في الحديثِ ما يدلُّ على هذا أصلاً.

وأيضاً فعلى هذا لا يكون للسبعينَ مزيَّةٌ على غيره، فإن جملةَ المؤمنينَ لا يَرقون بما كان شِركاً.

الثاني: قولُه: (فكذا يقال...) إلى آخره، لا يصحُّ هذا القياسُ، فإنه من أَفسدِ القياسِ، وكيف يُقاسُ مَن سألَ وطلبَ على مَن لم يَسأَل؟[1]. [١٤٨]

[شرح١٤٨] قوله: «المُرقِي كذلك» أي: إذا كان ترك الاسترقاء أَولى، فينبغي أيضاً أن يكون المُرقِي لا يقبل هذا الشيء، بل من أراد أن يحسن إليه فليمنعه، فهذا قياس فاسد، إذ ليس السائل كالمعترض على السؤال، هناك فرق بعيد، ولهذا جاء في الأحاديث =

(١) ص٦٨-٦٩.

.....

= الصحيحة: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرِف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»[1].

هذا بخلاف السائل الذي يكون له نوع من الذل، ونوع من الاستعطاف، ونوع من الالتفات إلى المسؤول، فلا يستويان، لا يستوي هذا الذي يرقي من دون أن يسأل مع الذي يسأل، فبينهما فرق.

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٤٧٣)، ومسلم: الزكاة (١٠٤٥).

obeikandl.com

۞ مع أنه قياسٌ مع وجودِ الفارقِ الشرعيِّ، فهو فاسدُ الاعتبارِ؛ لأنه تسويةٌ بين ما فَرَّقَ الشارعُ بينهما بقوله: «مَن اكتَوَى أو استَرقَى فقد بَرِئَ مِن التوكُّلِ». رواه أحمدُ، والترمذيُّ وصحَّحه، وابنُ ماجه، وصحَّحه ابنُ حِبان، والحاكمُ أيضاً[1]، وكيف يُجعَل تركُ الإحسانِ إلى الخلقِ سبباً للسَّبقِ إلى الجِنانِ؟![2] [١٤٩]

[شرح١٤٩] حديث «من اكتوى أو استرقى...» هذا فيه نظر وما أظن صحته وإن صححه ابن حبان، فإن هذا المتن بعيد عما هو معروف عن النبي عليه الصلاة والسلام، وما هو معروف في القواعد الشرعية.

وهذا الحديث مداره على عَقّار بن المغيرة، وفي انفراد عقار بهذا الحديث نظر، وهو صدوق، والصدوق درجة غير الثقة، وقد لا =

---

(١) أحمد (٤/ ٢٤٩)، والترمذي: الطب (٢٠٥٥)، وابن ماجه: الطب (٣٤٨٩)، وابن حبان: الرقى والتمائم (٦٠٨٧)، والحاكم: الرقى والتمائم (٤/ ٤١٥) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) ص٦٩.

.....

= يحتج به إذا انفرد، وانفراد عقار بهذا عن أصحاب المغيرة من الأئمة والأثبات والتابعين يخرجه عن درجة الاحتجاج به.

وهو مخالف لظاهر الأحاديث الصحيحة، ففيه نظر، فأقرب ما يقال ـ إن صح ـ: إنه يكون شاذاً؛ كما قال الحافظ، فإن خولف، فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ، فإنه إذا خولفت الأدلة الشرعية المعروفة بحديث ما وإن كان سنده جيداً، اعتُبر شاذاً؛ كونه خالف من هو أوثق منه، ولا يعتبر به إلا أن يحمل هذا الحديث على التوكل الكامل، ففي صيغة هذا الحديث وألفاظه نظر إلا أن يحمل على التوكل الكامل، لكن ظاهر إطلاق الصيغة أنه التوكل كله، لكن لو استقام سنده وسلم فإنه يحمل على البراءة من التوكل الكامل، وليس من جنس التوكل فقط، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر أن يُسترقَى من العين[1].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة والمستفيضة التداوي والكي والاسترقاء، فالقول بأن هذا براءة من التوكل اعتماداً على رواية =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥) من حديث عائشة.

.....

= عقار هذا، فيه نظر، والمقصود أن للبحث تتمة بالنظر في حال عقار.

وبكل حال لو ثبت أن عقاراً سليم من القدح أو الجرح، فهو من باب الأخبار الشاذة، لأن شرط الحديث الصحيح أن يكون متصل السند ولا يكون معلاً ولا شاذاً، هذا بالنسبة للأحاديث الكثيرة والآيات الدالة على الأسباب، ولا سيما ما يتعلق بالكي نفسه والاسترقاء، فهذان الشيئان خالفا الأحاديث الصحيحة، فعن ابن عباس عند البخاري[1]: «الشفاء في ثلاث»، ومنها الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الكي والاسترقاء، وهي ثابتة في «الصحيح» أيضاً: أن النبي ﷺ أمر أن يسترقى من العين، وأمر امرأة جعفر أن تسترقيَ لأولادها[2].

(١) برقم (٥٦٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

۞ وهذا بخلاف من رَقَى أو رُقِيَ من غيرِ سؤالٍ، فقد رَقَى جبريلُ النبيَّ ﷺ[1]، ولا يجوزُ أن يُقال: إنه عليه السلام لم يكن متوكِّلاً في تلك الحالِ[2]. [١٥٠]

[شرح١٥٠] ولا غرابة في أن حَذَفَه المهذِّب الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» ولم يذكره؛ لأنه استغربه، ورأى أنه غير مطابق لقواعد الشرع وأوامر الشرع، ولهذا حذفه من «التهذيب»، فإنه رحمه الله هذب الشرح هذا وأدخل فيه بعض النقول، وحذف منه بعض الأشياء التي رأى أن حذفها أحسن، ومن جملة ذلك أنه حذف هذا الاعتراض الذي ذكر على الرقية، وحذف أيضاً هذا الحديث، وحذف أشياء غيره.

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

(٢) ص٦٩.

۞ الثالث: قوله: (ليسَ في وُقُوع ذلكَ من جبريلَ...) إلى آخره، كلامٌ غيرُ صحيح، بل هما سيِّدا المتوكِّلينَ، فإذا وقعَ ذلك منهما دلَّ على أنه لا يُنافي التوكُّلَ، فاعلَمْ ذلكَ[1]. [١٥١]

[شرح١٥١] أي: لا ينبغي ترك التوكل من النبي ولا من جبريل عليه الصلاة والسلام، أي: لو كان فيه نقص لما فعله جبرائيل ولما فعله النبي ﷺ، ثم علاوة على ما قال الشارح قول آخر: وهو أن هذه الزيادة لم تقع إلا في حديث ابن عباس هذا «يرقون»، ولم تأت في الأحاديث الأخرى التي جاء فيها أخبار السبعين؛ أخبار عمران بن حصين وأبي هريرة والجماعة ذكروا السبعين، فلم يأت في رواياتهم «ولا يرقون» إنما جاء فيها «ولا يسترقون» بالسين، فدل ذلك على أن رواية ابن عباس هي التي اختصت بالوهم؛ لأن فيها الزيادة عند مسلم دون غيرها، الصحابة الذين رووا قصة السبعين ما رووا فيها «ولا يرقون»؛ فهذا من دلائل عدم صحة هذه الزيادة، وأنه من بعض الرواة الذين رووا حديث ابن عباس*.

---

* س: الرقية في الإناء، أي: الذي يأتي بإناء ويقرأ وينفث في الإناء، هل =

(١) ص٦٩.

.....

= ورد في هذا حديث؟

ج: ورد في حديث عند أبي داود في أول كتاب الطب[1]، وهو حديث جيد لا بأس به: أن رسول الله ﷺ دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فدعا له ثم أخذ تراباً من بُطْحان فجعله في قدح، ثم نفث عليه بماء، ثم صبَّه عليه.

س: ورد أنه يكتب بالزعفران، ما أصل هذه الراوية؟

ج: لم أجد لهذا أصلاً، وإن كان يروى عن ابن عباس، لكن على أصلها ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة أنه مروي عن ابن عباس، ولكن لم أقف على السند، ولم أر ما يدل ثبوته عن ابن عباس، وفعله بعض السلف، فعله أحمد والجماعة من السلف يكتبون للمرقي في صحون نظيفة بزعفران وتغسل ويشربها المريض، هذا موجود منذ العهد القديم منذ القرن الثاني وما بعده ولا أعرفه عن الصحابة.

ولهذا فيما يظهر لي أن الأَولى ترك ذلك، وأن يكتفى بالرقية على المريض، أو يأتي بماء يشربه وفي طعام يأكله أو يدهن به، أي: شيء يباشر المريض رأساً، أما شيء يكتب ثم يغسل، لا أعرف له أصلاً ثابتاً عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، إنما هو من فعل بعض السلف، وما روي عن ابن =

(١) برقم (٣٨٨٥).

.....

= عباس وما رأيته وما رأيت أحداً رواها بإسنادها، فلتبحث ولتنظر.

س: الحديث الذي فيه قصة اللديغ فدعا النبي ﷺ بماء وملح وقرأ عليهما؟

ج: جارٍ كذلك، لكن لا أَذكر الآن سنده ومن رواه، غاب عن ذهني الآن لا أتذكر، لكنه مر بي هذا الشيء، أظنه أن جبرائيل قرأ للنبي ﷺ بماء وملح في لدغة أصابت النبي ﷺ[1].

س: الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقرأ في يديه ويمسح، هل يقاس عليه المسح بالماء ؟

ج: لا يقاس عليه؛ لأن كون الإنسان يقرأ على جزء من جسمه، ثم يجعله على بقية جسمه لا يمكن أن يقرأ بشيء منفصل، ألا يقاس عليه، فالنبي ﷺ ثبت عنه أنه كان إذا أحس بشيء يقرأ في يديه ﷺ «قل هو الله أحد» والمعوذتين، ويمسح من ذلك ما أقبل من جسده ورأسه ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام عند النوم[2].

وتكميل لهذا البحث مما يؤيد ما أشرت إليه من القياس، قد يتأيد القياس بأن عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما مرض النبي ﷺ في آخر حياته، وكان يعجز أن يقرأ في يديه بسبب الضعف، صارت هي تقرأ في =

(١) انظر «شعب الإيمان» (٢٥٧٥) و(٢٥٧٦).

(٢) انظر «صحيح البخاري» (٥٠١٦) و(٥٠١٧) و(٥٧٤٨).

.....

= يديه وتمسح بهما وجهه، تقرأ هي على يد النبي ﷺ وتمسح بهما جسده[١].

س: الرُّقى بالأوراق، ما مدى صحته؟

ج: هذا الذي يسأل عنه الإخوان، يروى عن ابن عباس ذلك وعن جماعة من السلف فعلوه، ولكن إذا تيسر أن يكون على المريض من باب أولى القراءة على المريض، أو في شيء يشربه أو يدهن به أو نحو ذلك.

س: إذاً ما لها صحة؟

ج: لا أعرف عنها شيئاً عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، إنما هي تروى عن ابن عباس، ولكن من باب الطب، أي: التطبب، لا من باب العبادات.

س: أقول: إن لم يصح الحديث عندهم يستدلون بـ«لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[٢]، أهذا الحديث تدخل فيه الرقية بالماء؟

ج: قد يعمها، لكن ما هو وارد أولى؛ لأن الغالب المعروف عن الصحابة الرقى على نفس المرضى؛ فالرقى على المريض أظهر، ولكن من حيث العموم النفث في إناء أو النفث في طعام، أو ما أشبه ذلك قد يدخل في العموم لا بأس بالرقى، هذا يسمى رقى ولا يسمى تميمة، مثل الحجاب، وما تقدم ألصق.

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٥١).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

۞ قوله: (ولا يَكتَوُون) أي: لا يسألون غيرَهم أن يَكوِيَهم، كما لا يسألون غيرَهم أن يَرقِيَهم استسلاماً للقضاءِ وتَلذُّذاً بالبلاءِ[1]. [١٥٢]

[شرح١٥٢] وهذا وإن كان كما أنه ليس له أن يكويهم ليس بجيد، ظاهر النص: لا يسألون ولا يفعلون أيضاً، «لا يَستَرقُونَ ولا يَكتَوُونَ» لم يقل: ولا يسألون، إنما التأويل من الشارح ومن سار على طريقه، الكي هنا يكره ولو من غير سؤال؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لا يَكتَوُون» لم يقل: لا يسألون أحداً أن يكويهم؛ أي: لا يطلبون من أحد أن يكويهم قال: «لا يسترقون ولا يكتوون» فنفس الاسترقاء مكروه؛ يعني: تركه أولى إلا عند الحاجة، ونفس الكي كذلك إلا عند الحاجة.

وثبت عنه ﷺ أنه أمر أسماء بنت عميس أن تسترقي لأولاد جعفر[2]، فدل ذلك على جواز الاسترقاء عند شدة الحاجة، فيكون وصف السبعين بهذا الفضل من باب الأولوية لا من باب الكراهة، =

---

(١) ص٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

.....

= ولا من باب التحريم.

فالأولى والأفضل أن لا يسترقي، فإن استرقى فلا حرج، ولهذا أمر ﷺ أن يسترقَى من العين[١].

وفيه: «ولا يكتوون» أي: لا يفعلون الكي عند الاستغناء عنه، أما عند الحاجة إليه فلا كراهة؛ لأن الحاجة تزيل الكراهة، ولهذا في «صحيح البخاري» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في كية نار، أو شرطة محجم، أو شربة عسل، وأنهى أمتي عن الكي»[٢]، وفي الآخر: «وما أحب أن أكتوي»[٣]، هذا يدل على الكراهة فإذا دعت الحاجة إليه زالت الكراهة وقد كوى النبيُّ ﷺ بعض أصحابه[٤]، وقد اكتوى خبَّاب ابن الأَرَتّ وغيره[٥]، فالمقصود أن الكي جائز عند الحاجة إليه من =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٣) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

(٤) انظر مسلم: السلام (٢٢٠٧) و (٢٢٠٨).

(٥) أخرجه البخاري: المرضى (٥٦٧٢)، ومسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨١).

.....

= دون كراهة، فإذا استغني عنه ووجد طباً آخر، ودواء آخر، فالأولى تركه لما فيه من التعذيب، فما ينبغي للمؤمن أن يتعجل شيئاً من العذاب إلا عند الحاجة لذلك*.

* س: ولكن بعض الأمراض ممكن أن تستعصي على بعض الأطباء.

ج: هذه حاجة، إذا عرف أن هذا الداء الكي أحسن له فلا بأس، الرسول ﷺ قال: «الشفاء في ثلاث» أراد بذلك الدعوة إلى هذا الشيء.

obeikandl.com

۞ أما الكَيُّ في نفسِه فجائزٌ كما في «الصحيح» عن جابرِ بن عبد الله: أن النبيَّ ﷺ بعثَ إلى أُبيِّ بنِ كعبٍ طبيباً، فقطعَ له عِرقاً وكَوَاه[1].

وفي «صحيح البخاريِّ» عن أنسٍ: أنه كُوِيَ من ذاتِ الجَنبِ، والنبيُّ ﷺ حيٌّ[2].

وروى الترمذيُّ وغيرُه عن أنسٍ: أن النبيَّ ﷺ كَوَى أسعدَ بنَ زُرَارَةَ مِن الشَّوْكَةِ[3].

وفي «صحيح البخاريِّ» عن ابنِ عباسٍ مرفوعاً: «الشفاءُ في ثلاثة: شَربَةِ عَسَلٍ، وشَرطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ، وأنا أَنهى عن الكَيِّ»[4]. وفي لفظ: «وما أُحبُّ أن أَكتويَ»[5].

قال ابنُ القيِّم: فقد تَضمَّنَت أحاديثُ الكَيِّ أربعةَ أنواعٍ: =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٢١، ٥٧٢٠، ٥٧١٩).

(٣) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٠).

(٤) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٥) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

= أَحدها: فِعلُه.

والثاني: عدمُ محبَّتِه له.

والثالث: الثناءُ على مَن تَرَكَه.

والرابع: النهيُ عنه.

ولا تَعارُضَ بينها بحَمدِ الله، فإنَّ فِعلَه له يدلُّ على جَوازِه، وعَدَمُ محبَّتِه له لا يدلُّ على المَنْعِ منه، وأما الثناءُ على تارِكِيه فيدلُّ على أن تركَه أَوْلَى وأفضلُ، وأما النهيُ عنه فعَلَى سَبيلِ الاختيارِ والكراهيةِ[1]. [١٥٣]

[شرح١٥٣] هذا كلام قيِّم حسن مطابق للواقع*.

---

* س: قولُه: «الغر المحجَّلون» هل هو خاص بهذه الأمة؟

ج: العلامة فقط، لكن الوضوء لهم وللأمم قبلهم، التحجيل لهذه الأمة لهم خاصة وجوههم فيها نور، وكذلك الأيدي والأرجل فيها نور خاص، يعرفهم بها نبيهم عليه الصلاة والسلام، جعلنا الله وإياكم منهم.

س: الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] هل هي =

---

(١) ص٦٩.

.....

= خاصة أم عامة ؟ يعني هل هي خاصة بأشخاص معينين؟

ج: لا، ليست خاصة، الأمر للأُمة كلها، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ الأمر لجميع الأمة ليس خاصّاً.

س: ما رأيك فيمن يدعي أنه يمكنه تحصيل المعارف والعلوم الكثيرة، ولو لم يتعلم؟

ج: هـذا من الجهل بسنة الله في عباده، لأن التعلم من التقوى، قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أطيعوه، ومن جملة الطاعة التعلم والتفقه في الدين، وليس معنى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ بغير تعلم، يعني: اتقوا الله، أي: صلوا وصوموا ونحو ذلك وأنتم تاركو العلوم، وأنتم ما تعلمتم من أحد، ولا تدبرتم القرآن، ولا أخذتم الأحاديث عن رسول الله ﷺ ! هذا خطأ لا يقول به أحد، نفس التعلم من التقوى، فمن اتقى الله بطلب العلم والإخلاص لله في الطلب والمواظبة والمثابرة علَّمه الله.

وهذا مثل قول بعض الناس في قول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٥] فيقول: معناها: أني لا يضرني ضلال الناس ولو لم آمرهم ولا أنهاهم لأني مهتد، وهل يحصل هداية كاملة وأنت مضيع للأمر والنهي؟!

من الهداية التي شرطها الله أن تكون أماراً للمعروف، ناهياً عن المنكر =

.....

= حسب طاقتك، وبهذا تكون مهتدياً، أما إذا ضيعت ذلك فيضرك ضلال غيرك، إذا أنت لم تأمر ولم تنه يضرك.

س: هل صح قول أبي بكر عن هذه الآية؟

ج: نعم، رواه أبو داود بسند جيد والإمام أحمد أيضاً في أول «المسند»[1].

س: ما هو العلم الواجب؟

ج: ما لا يسع العبد جهله، أي: يتعلم ما أوجب الله عليه وما حرم الله عليه حتى يكون على بصيرة، وأعظم ذلك توحيد الله فيتعلم الشهادتين.

وقد جمع ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، في «ثلاثة الأصول»، فأشار إلى هذا المعنى بعبارات واضحة، يأتي الكلام عليها إن شاء الله في الدرس الآخر.

المقصود أن العلم الواجب هو الذي لا يسع العبد جهله من حيث يعرف ما أوجب الله عليه، وما حرم الله عليه على بصيرة حتى يعبد الله على بصيرة.

س: حديث «فإذا رأيت هوى متبعاً وشُحّاً مُطاعاً... »؟

ج: حديث جيد في الجملة؛ رواه أبو داود وغيره، قال: «إذا رأيتَ شُحّاً =

(١) أبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)، وأحمد (١/ ٢).

.....

= مطاعاً، وهوًى متَّبعاً، ودُنيا مُؤثَرة، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه، وأمراً لا يدان لك به؛ فعليك بخاصة نفسك بنفسك»[1]، أي: رأيت أموراً خمسة: شحّاً مُطاعاً، وهوًى متَّبَعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وأمراً لا يدانِ لكَ به؛ أي: لا طاقة لك به؛ أي: إذا كان لا طاقة عنده ليتكلم وغير معلوم.

س: ما معنى «ودَعْ عنكَ العوامَّ»، هل هم الناس؟

ج: أي: عامة الناس، أي: اشتغل بنفسك، أي: التزم بنفسك، من جهة إلزامها الحق وكفها عن الباطل، أما الهجرة فهذا معروف من الأدلة الأخرى.

(١) أخرجه الترمذي: التفسير (٣٠٥٨)، وأبو داود: الملاحم (٤٣٤١)، وابن ماجه: الفتن (٤٠١٤).

۞ قوله: «ولا يَتطيَّرون» أي: لا يتشاءَمونَ بالطيورِ ونحوِها.

وسيأتي بيانُ الطِّيَرةِ وما يتعلَّق بها في بابِها إن شاءَ الله تعالى[1]. [١٥٤]

[شرح١٥٤] أي: أن المؤلف عقد لها باباً خاصاً، قال: باب ما جاء في التطير؛ والتطير كما تقدم: هو التشاؤم من مرئيات أو مسموعات، ومن صفات أهل الجنة أنهم لا يتطيرون، أي: لا يتشاءمون بالمرئيات أو المسموعات التشاؤم الذي يضرهم ويردهم عن حاجاتهم.

أما الفأل؛ فإن المؤمن يحب الفأل كما كان النبي ﷺ يحب الفأل[2]: وهو أن يسمع كلمة طيبة فيسر بها، وينشرح لها صدره، وهذا ليس من الطيرة في شيء، ويأتي في هذا الكلام إن شاء الله.

مثل الإنسان المريض يقال له: يا مشافى يا معافى يا سليم، فيفرح بهذه الكلمة، أو الإنسان الذي يلتمس الضالة، فيقول: يا واجد يا موفق يا مهدي أو ما أشبه ذلك فليس في هذا شيء، فهومن باب الفأل. =

---

(١) ص٦٩.

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٢٣).

.....

= المقصود من التطير إذا كان إنسان مثلاً خرج مسافراً فرأى إنساناً سيئ الخلقة، أو وافى حيواناً سيئ الخِلقة، أو سمع صوت غراب، أو كلاماً غير لائق؛ فتشاءم بهذا ورجع عن حاجته؛ فهذا من باب التطير*.

* س: **إذا تعسر على الإنسان أمرٌ فرجع عنه؛ فهل يُعدُّ هذا من باب التطير؟**

ج: ليس ذلك من التطير ما دام تعسر عليه؛ فيلتمس غيره.

obeikandl.com

۞ قوله: (وعلى ربِّهم يتوكَّلُون) ذكرَ الأصلَ الجامعَ الذي تفرَّعَت عنه هذه الأفعالُ، وهو التوكُّلُ على الله، وصِدقُ الالتجاءِ إليه، والاعتمادُ بالقلب عليه، الذي هو خلاصةُ التفريدِ، ونهايةُ تحقيقِ التوحيدِ الذي يثمرُ كلَّ مقامٍ شريفٍ من المحبَّةِ والخوفِ والرجاءِ، والرضَا به ربّاً وإلهاً، والرضَا بقضائِه؛ بل ربما أوصَلَ العبدَ إلى التلذُّذِ بالبلاءِ وعَدِّهِ من النَّعماءِ، فسبحانَ مَن يتفضَّل على من يشاءُ بما يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ[1]. [١٥٥]

[شرح١٥٥] كثير من الناس قد يغلط في التوكل، ويحسب أنه ينافي الأسباب؛ وليس الأمر كذلك، فالتوكل لا ينافي الأسباب؛ بل نفس الأسباب من التوكل، فالتوكل شيء عظيم محبوب لله، مأمور به؛ بل واجب على المسلم، وهو أي: التوكل يجمع أمرين:

الأمر الأول: الاعتماد على الله، والإيمان بأنه مسبب الأسباب ومدبر الأمور، وأن كل شيء بيده من الشفاء والمرض، والصحة والسقم، وقضاء الحاجة، وعدم ذلك كل ذلك بيده ﷻ. =

---

(١) ص٦٩-٧٠.

.....

= **والأمر الثاني**: تعاطي الأسباب والأخذ بها من الطاعات التي هي أسباب الجنة، وترك المعاصي التي تركها من أسباب الجنة، والأخذ بالأسباب التي تنفع في الدنيا من التجارة، أو الحراثة، أو الفلاحة، أو النجارة، أو الخرازة، أو غيرها من الأسباب التي يحتاجها في الدنيا حتى يستغني بها عن الحاجة إلى الناس.

فالتوكل يجمع الأمرين؛ يجمع ثقة بالله، واعتماداً عليه، وإيماناً بأنه مسبِّب الأسباب، وأنه مدبر الأمور، وأنه قد سبق علمه بكل شيء، وقدر كل شيء؛ فهو يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف يعلم هذا، وهذا أمر.

والأمر الثاني: هو الأخذ بالأسباب، وأن هذا الاعتماد على الله، وهذه الثقة به لا تمنع الإنسان من الأخذ بالأسباب؛ بل ترك الأسباب نقص في العقل وقدح في الشرع، ولا يمكن أن تكون الأسباب كذلك: نقص في العقل وقدح في الشرع، والاعتماد عليها كذلك؛ فلا يعتمد عليها ولا يسلبها ولا يعطلها؛ بل يأخذ بها، ويعمل بها من غير اعتماد عليها، ومن غير التفات إليها؛ بل مع =

.....

= اعتماده على الله، وعلمه وإيمانه بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

فإذا ذهب إلى الطبيب لا يظن أن هذا الطبيب هو الشافي المعافي؛ بل أمره إلى الله ﷻ؛ فأنت مأمور بالطبيب: «تَداوَوْا، ولا تَداوَوْا بحرام»(١)؛ ولكن ليس الشفاء بيد الطبيب؛ إنما هو من جنسه إذا تسبب وعمل بما يستطيع وبما يظهر له من علمه فقد ينفع وقد لا ينفع.

كذلك إذا ذهب إلى من يرقيه من أهل العلم أو من طلبة العلم أو من الراقين المعروفين، فلا يظن أن هذه الرقية هي الشافية المعافية؛ بل هي أسباب، فقد تنفع الرقية وقد لا تنفع الرقية، وقد ينفع الكي وقد لا ينفع الكي، وقد تنفع العملية التي أجراها الطبيب وقد لا تنفع، فالأمور بيد الله ﷻ؛ فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله؛ لأن الله جعل لكل داء دواء، فإذا وفق الطبيب أو المعالج أو الكي لدواء الداء؛ برئ بأمر الله إذا كان الأجل لم يحضر.

فالحاصل أن الأمور بيد الله ﷻ، وأن الأسباب لا تنافي اعتماده =

(١) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٧٤).

.....

= على الله، وإيمانه بأنه مسبب الأسباب؛ بل هذا شيء وهذا شيء؛ فالاعتماد على الله شيء عظيم، ومقتضى الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه مسبب الأسباب، وأنه مقدر كل الأشياء، فمن مقتضى ذلك التوكل عليه، والثقة به، والاعتماد عليه ﷻ.

والإيمان الصادق واليقين الجازم أنه لن يفوتك شيء مما كتبه الله لك، ولن يصيبك شيء مما كتبه الله عليك؛ بل أنت عالم بهذا وموقن؛ ولكنك مأمور بالأسباب؛ فإن الأشياء قد تعلق على أسبابها؛ فأنت مأمور بهذه الأسباب التي تجلب الخير، وتدفع الشر في صحتك أو في أهلك أو في أولادك أو في مزرعتك، أو ما أشبه ذلك.

فأنت تلاحظ أسباب نمو الزرع وسلامته، وتلاحظ أسباب سلامة الحيوانات ونموها، وما أشبه ذلك، وتلاحظ أسباب صحتك وسلامة صحتك وسلامتك من الأمراض؛ ولكن لا عن اعتماد على الأسباب، ولا عن الإعراض عن الله؛ بل أنت مع الله، تؤمن بأنه مسبب الأسباب، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قد سبق في علمه موتك وحياتك، وما يصيبك وأنت في بطن أمك وقبل =

.....

= ذلك، فإذا توكل الإنسان على الله على هذا المعنى فقد أصاب الشرع، وإذا توكل على الله بمعنى آخر، وهو أنه يعطل الأسباب، فيبقى في بيته، أو في المسجد، لا يتعاطى الأسباب؛ بل يتركها ويقول:إن هذا هو الشرع؛ فقد غلط في ذلك.

أما لو رأى إنسان أن المعالجة لا تناسبه، ورأى أنه يتلذذ بهذا المرض، ويرجو فيه عافية الله وتكفيره للسيئات، وحط الخطايا، أو رأى الأطباء فيهم من الشر ما فيهم، وفي طبهم من الشر ما فيه، ورأى أن يبقى على مرضه، وألا يعالج؛ فلا حرج عليه ولا بأس؛ فالتداوي ليس بواجب؛ بل فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه مباح وتركه أفضل.

والثاني: أنه مباح وتركه مباح، على السواء.

والثالث: أن فعله أفضل، وهو قول الجمهور.

والرابع: أنه متأكد جداً حتى يدانى به الوجوب،وهو قول آخر قاله بعض الحنفية وجماعة.

فالحاصل أن الأدوية والتداوي والعلاج ما هي واجبة؛ إنما =

.....

= قصاراها أن تكون مستحبة ومتأكدة، وليست بواجبة؛ اللهم إلا في بعض الحالات القليلة التي يعلم فيها أنه إذا ترك الدواء فيها فقد أعان على قتل نفسه؛ كالمقطوع الذي يقطع ويحتاج إلى حسم الدم وإيقافه، أو ما أشبه ذلك؛ فقد يقال هنا بالوجوب في بعض الحالات التي يعلم يقيناً أنه متى أهملها فقد تسبب في هلاك نفسه.

فالأشياء التي يقرها الأطباء ويعلم الناس أن علاجها سبب للسلامة، وأن ترك ذلك من أسباب الهلاك فينبغي للمؤمن في هذه الحالة أن يبادر، وأن يعالج؛ حتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]*.

---

* س: هل القول الأول في التداوي أنه مباح؟

ج: نعم؛ **الأول**: أنه مباح وتركه أفضل.

الثاني: متساوي الطرفين.

الثالث: أنه مستحب؛ لقول الجمهور من قوله ﷺ: «تداووا، ولا تَداوَوْا بحرام»، وأنه رقى عليه الصلاة والسلام.

الرابع: تأكيده حتى يداني الوجوب؛ يعني: يتأكد جداً حتى يقارب الوجوب. =

.....

= فالحمد لله؛ فالأصل الإباحة والسلامة حتى تعلم أن فيه ممنوعاً.

س: بالنسبة لأدوية غير الطبيب، هل يوجد أدوية عربية ذكرت في أحاديث، فيستغنى بها عن الطبيب؟

ج: قد يحتاج إلى الطبيب في ترتيبها وفي كيفية استعمالها؛ لأن العامي قد لا يعلم كيفية استعمالها، فما جاء في الأحاديث أو ما جاء عن السلف الصالح فهذا نوع من الطب؛ لكن بعضه قد يحتاج إلى ترتيب وتنظيم من الأطباء العارفين المجربين له، وبعضه لا يحتاج شيئاً؛ فبعضه مبين مثل الرقى التي بينها النبي ﷺ، والتعوذات كلها من أسباب العلاج، وكلها من أسباب السلامة.

وكذا الأوراد أو الأذكار الشرعية فهي علاج لذنوبك وسيئاتك، وبعضها علاج لحفظك من الشر؛ مثل قوله ﷺ: «من تصبَّح بسبع تمراتٍ عجوةً، لم يضرُّه سِحرٌ ولا سُمّ»[1]، وفي بعض الروايات: «من عجوة المدينة»[2]، وفي بعض الروايات: «مما بين لابتيها»[3]، هذا دواء منصوص عليه ما يحتاج إلى مراجعة الأطباء.

كذلك ما جاء في الحديث من قراءة المعوِّذتين و(قل هو الله أحد) ثلاث =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٦٨)، ومسلم: الأشربة (٢٠٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٧٥).

(٣) وهي عند مسلم (٢٠٤٧)(١٥٤).

.....

= مرات بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وأنها سبب للوقاية من كل شيء[١]، وكذلك آية الكرسي، وأنها سببُ الوقاية من الشيطان[٢]، وأشياء نص عليها النبي ﷺ، فهذه ما تحتاج لأحد.

س: وكذا الحبة السوداء؟

ج: الحبة السوداء قد تحتاج إلى تنظيمها، كيف تستعمل، من أهل الطب العارفين بها، هي شفاء؛ لكن كيف تستعمل؟ هل تستعمل عشر حبات أم عشرين حبة؟ وما قدر استعمالها؟ هل يوجد معها شيء وهل يوضع عليها شيء؟ فهي قد تحتاج الأطباء المجربين.

س: الأطباء المعاصرون هؤلاء أم الطبيب العربي؟

ج: أيُّ طبيب.

س: بعضهم لا يعرف.

ج: بعضهم مقلد يعمل ما يعمله الجهلة، وبعضهم عنده بصيرة يستطيع أن يعطي فائدة.

س: هل المقصود بالتمرات: تمر العجوة بالذات أو من أي تمر كان؟

ج: جاء في النصوص ذكر العجوة وجاء في بعضها: «مما بين لابتيها» =

---

(١) أخرجه أبو داود: الأدب (٥٠٨٢)، والترمذي: الدعوات (٣٥٧٥)، والنسائي: الاستعاذة (٥٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: فضائل القرآن (٥٠١٠).

.....

= رواه مسلم في «الصحيح»[1] أي: من جميع تمر المدينة، وجاء في بعض النصوص «من تمر» فقط بإطلاق؛ فيرجى أن التمر كله يحصل به المقصود؛ لكن إذا كان من تمر المدينة يكون أبلغ وأكمل؛ لأنه قد يكون لجوها، واستيطان النبي عليه الصلاة والسلام فيها، أو لسابقتها، وقد يكون لها سر خاص، الله أعلم به؛ مثل ما نص عليه النبي ﷺ، فإذا كان منها يكون أكمل في هذا الدواء.

س: الذي رأى حادثاً معيناً في طريقه وتشاءم منه ثم ارتد عن السفر، فهل هذا من الطيرة؟

ج: هذا من الطيرة دون شك، ولا يجوز هذا، إذا رأى ناساً متصادمين أو أمواتاً فتشاءم ورجع، فهذا من الطيرة.

(١) برقم (٢٠٤٧)(١٥٤).

۞ واعلَم أن الحديثَ لا يدلُّ على أنهم لا يباشرون الأسبابَ أصلاً كما يظنُّه الجَهلَةُ؛ فإن مباشرةَ الأسبابِ في الجملةِ أمرٌ فِطريٌّ ضروريٌّ لا انفِكاكَ لأحدٍ عنه، حتى الحيوانِ البَهيمِ؛ بل نفسُ التوكُّلِ مباشرةٌ لأعظمِ الأسبابِ ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيهِ؛ إنما المرادُ أنهم يتركون الأمورَ المكروهةَ مع حاجتِهم إليها توكُّلاً على الله كالاسترقاءِ والاكتواءِ.

فتركُهم له ليس لكونِه سبباً ؛ لكن لكونِه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريضُ يتشبَّثُ بما يظنُّه سبباً لشفائه بخيطِ العنكبوت؛ أما نفسُ مباشرةِ الأسبابِ والتداوي على وجهٍ لا كراهيةَ فيه فغيرُ قادحٍ في التوكُّلِ؛ فلا يكونُ تركُه مشروعاً؛ كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزلَ له شفاءً»[1] .

وعن أُسامةَ بنِ شَريكٍ قال: كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ وجاءتِ الأعرابُ، فقالوا: يا رسولَ الله، أنتداوَى؟ فقال: =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٧٨).

= «نعم يا عبادَ الله تَداوَوا، فإنَّ اللهَ ﷻ لم يَضَعْ داءً إلا وَضَعَ له شفاءً غير داءٍ واحدٍ» قالوا: ما هو؟ قال: «الهَرَم». رواه أحمد(١)*.

قال ابن القيِّم: فقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسبابِ والمسبَّباتِ(٢). [١٥٦]

[شرح١٥٦] المسبَّب: هو الناشئ عن السبب؛ أما المسبِّب: فهو الله ﷻ؛ المسبِّب هو الفاعل، والمسبَّب هو الناشئ عن السبب كشفاء من المرض ونحو ذلك.

---

* س: المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله كالاسترقاء والاكتواء؟

ج: هذا مكروه إلا عند الحاجة، فإذا اشتدت الحاجة إليه فعل، ولذلك أَمر النبي ﷺ أسماء أن تسترقيَ لأبناء جعفر(٣)، وأمر عائشة أن تسترقي من =

---

(١) أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأخرجه الترمذي: الطب (٢٠٣٨)، وأبو داود: الطب (٣٨٥٥)، وابن ماجه: الطب (٣٤٣٦).

(٢) ص٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

.....

= العين[١].

الحاصل أنه إذا كان له حاجة شديدة جاز الشيء المكروه، والاسترقاء مكروه؛ لأنه حاجة إلى الناس، فهو سؤال وطلب، وسؤال الناس في نفسه مذموم، بخلاف من يرقيك ابتداء منه دون سؤال منك، وفي معنى الحديث «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»[٢] خلاف الكي فهو مكروه؛ فهو نوع من التعذيب، وفي الحديث السابق: «ما أحب أن أكتوي»[٣]، و«أَنهى أُمتي عن الكيّ»[٤]، ومع ذلك فهو مباح في الجملة: «الشفاءُ في ثلاث، كية نار، وشرطة محجم، وشربة عسل»[٥]، فالحاصل أنه مكروه عند عدم الحاجة إليه، إذا احتيج إلى الشيء زالت الكراهة.

س: حديث: لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم، ما درجة صحته؟

ج: رواه البيهقي عن أم سلمة[٦]، ولا أعرف حاله؛ لكن يغني عنه أحاديث أخرى، «تَداوَوْا ولا تداووا بحرام»[٧]، وفي الخبر: «إنها ليست =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

(٤) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٥) قطعة من الحديث السابق.

(٦) في «السنن الكبرى» (١٠/ ٥).

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨).

.....

= بدواء؛ ولكنها داءٌ» رواه مسلم[١].

س: إذا اضطر إلى التداوي بهذا المحرم لتطهير الجروح مثل اللومي؟

ج: الظاهر ما يكون ضرورة، ما يسمى ضرورة؛ لأن التطهير يكون بأشياء كثيرة غير محرمة، نفس اللومي هذا المعروف، وغيره كالأشياء الحوامض فهي تطهر.

س: بعض الأمراض العصرية تعالج بأشياء محرمة شرعاً؟

ج: على كل حال، الأصل ألا يتداوى بحرام، إلا إذا اضطر لشيء علم أن غيره لا يكفي، فالضرورة لها أحكام ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، وقد ذكر الأطباء منها شيئاً مثل: إسعاف الدم، فالدم أصلاً حرام ـ المسفوح لا يذهب إليه ـ لكن إذا جاءت حاجة إلى الإسعاف أسعف بحقنة من الدم للضرورة.

س: إذا كان الإمام يقرأ وأتى ذكر الرسول ﷺ، فهل يجوز أن أصلي عليه وأنا في الصلاة؟

ج: الظاهر أن تركه أَولى؛ لأن هذا محل إنصات؛ لكن إذا وقف فلا بأس أن تصلي أو تسبح عند التسبيح أو تدعو عند الدعاء، كان النبي ﷺ في صلاة الليل إذا مر بآية دعاء دعا، و إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح[٢]؛ أما في =

(١) مسلم: الأشربة (١٩٨٤).

(٢) انظر ما أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٢)، وما أخرجه أحمد (٦/ ٩٢).

.....

= الفريضة فالأمر غير ذلك؛ ولهذا أرجح القولين أنه لا يفعل ذلك في الفريضة.

وقال بعضهم: يفعل هذا ولو في الفريضة، فإذا مرت آية تسبيح سبح، أو آية دعاء دعا، أو آية فيها ذكر النبي ﷺ صلى عليه؛ لكن هذا أولى أن يكون في النافلة، فلم يكن النبي ﷺ يفعله في الفريضة؛ أما في النافلة فهو المستحب؛ فإذا مرَّ ذكرُ النبي ﷺ صلى عليه، وإذا مر عليه تسبيح العزيز الحكيم التواب الرحيم، قال:سبحانه عز وجل، وإذا مر ذكر الجنة قال: اللهم اجعلني من أهلها، اللهم أدخلنيها، وما أشبه ذلك، أو ذكر النار قال:اللهم عافني منها، اللهم اجعلني من غير أهلها، أو ما أشبه ذلك، فلا بأس؛ فهذا ثابت في النافلة؛ أما في الفريضة فالأولى عدمه؛ لأن النبي ﷺ لم يحفظ عنه أنه فعله في الفرائض.

س: هل المراد بالاسترقاء هنا: أن يطلب من غيره أن يرقيه؟

ج: نعم، هذا هو الاسترقاء.

س: وهل هذا فيه نص على الإنكار فيه؟

ج: نعم هذا هو؛ ولم تدع الضرورة للكي، فيمكن أخذ أسباب غير الكي إذا تيسرت هذه الأسباب، ومشهور عند العامة عند الأطباء: آخر الطب الكي، المقصود أن المعنى صحيح؛ فينبغي أن نقدم عليه غيره إذا تيسر.

س: يقول ﷺ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ =

.....

= [الأعراف:٤٦] من هم؟

ج: الله أعلم.

س: بعض الألفاظ المشهورة عند العامة عند نهاية بعض الآيات مثل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:٨] قال: بلى، ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك:٣٠] يقول: يأتي به الله، فهل ورد بهذا شيء صحيح؟

ج: لم يأت عند قوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ شيء صحيح، لا نعرف أنه ورد به شيء، يأتي بعض الناس بأحاديث؛ لكن لا نعرف لها أصلاً؛ أما ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ و﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] ورد فيه حديث ضعيف من طريق أعرابي، غير معروف العدالة[1]؛ أما في آخر القيامة ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]، فقد ورد فيه حديث جيد عن النبي ﷺ قال: «سبحانك فبَلَى» فيستحب إكماله، أي: يقال: سبحانك فبلى.

س: من روى هذا الحديث؟

ج: ذكره أبو داود وغيره وإسناده جيد[2]، وذكره ابن كثير في عقب تفسير سورة القيامة، وذكر أحاديث أخرى؛ لكن حديث الأعرابي، فيه ذكر =

(١) أخرجه أبو داود: الصلاة (٨٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود: الصلاة (٨٨٤).

.....

= سور ثلاث: القيامة والتين والمرسلات؛ ولكنه ضعيف؛ أما الحديث الآخر جاء في سورة القيامة خاصة فهو لا بأس به.

س: عند الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] فيقول الساجد: بلى أنا أعرف الرحمن؟

ج: لم يرد في هذا شيء، ولا هو مستحب.

س: إذا قرئ في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قيل: استعنا بالله؟

ج: قد تقدم أن هذا ليس له أصل، إذا قرئ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: استعنا بالله، ولا يقبل هذا؛ لأنه ما حفظ عن النبي ﷺ أنه كان يقول هذا.

وبعضهم إذا قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال: اللهم اغفر لي وارحمني ثم قال: آمين؛ فهذا ليس له أصل، فآمين هي دعوة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وهي دعوة موجودة.

س: سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ إذا قرأها سبَّح؟

ج: ليس له أصل؛ أما إذا فعله من دون قصد في قراءته العادية يعني: في خارج الصلاة من دون قصد فالأمر سهل؛ لكن كونه يواظب على هذا الشيء فإن هذا ليس له أصل.

۞ وإبطالَ قولِ مَن أنكرَها والأمرَ بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكُّلَ، كما لا ينافيه دفعُ داءِ الجوع والعطشِ والحرِّ والبردِ بأضْدادِها؛ بل لا تَتِمُّ حقيقةُ التوحيدِ إلا بمباشرةِ الأسبابِ التي نَصَبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتِها قدراً وشرعاً[1]. [١٥٧]

[شرح١٥٧] وهذا لا يخفى أن الأسباب الشرعية بعضها واجب، وبعضها مستحب، وإنما الكلام هنا عن تعاطي الأسباب أن التداوي على أربعة أمور؛ أي: التداوي بالأمور الحسية.

أما الأسباب الشرعية التي أمر الله بها، هذه فبعضها واجب، مثل أداء الفرائض وترك المحارم؛ فهذه واجبة؛ لأنها من أسباب دخول الجنة.

وبعضها مستحب، مثل النوافل والصدقات والتطوع وأشباه ذلك والتسبيح والتهليل، وما أشبه ذلك؛ فهذه أسباب مشروعة مستحبة فيها خير عظيم؛ لكن حين تطلق كلمة التداوي فالمقصود بها الأمور الحسية المعروفة أي: الطب وهو الذي جاء على أربعة أنحاء. =

---

(١) ص٧٠.

.....

= أما الأسباب الشرعية فهي قسمان:

أسباب واجبة: كأداء الفرائض، وترك المحارم.

وأسباب مستحبة: كأداء النوافل وترك المكروهات*.

---

* **س: إذا كان عند الإنسان مرض يعطله عن العبادة، ويعطله عن أداء واجبات العبادة، ويعلم علاجه؛ لكنه يتركه، فما الواجب؟**

ج: الظاهر في هذا أنه متأكد في حقه العلاج، لأمرين:

الأول: لما في العلاج من رجاء الخير، والقيام بأمر الله، والدعوة إلى الله، وحضور جماعة المسلمين.

والأمر الثاني: ليسلم من إيذاء الأولاد والزوجات ومن إتعابهم؛ فإذا لم يترتب على هذا المرض إتعاب أحد فله ذلك.

obeikandl.com

۞ وأنَّ تعطيلَها يقدحُ بمباشرتِه في نفسِ التوكُّلِ[١] كما يقدحُ في الأمرِ والحكمةِ، ويضعِفُه من حيث يظنُّ معطِّلُها أن تركَها أقوى من التوكُّلِ[٢]، فإنَّ تَرْكَها عَجزٌ ينافي التوكُّلَ الذي حقيقتُه اعتمادُ القلبِ على الله في حصولِ ما ينفعُ العبدَ في دينِه ودنياه، ودَفعِ ما يضرُّه في دينه ودنياه، ولا بدَّ مع هذا الاعتمادِ من مباشرةِ الأسبابِ، وإلا كان معطلاً للأمرِ والحكمةِ والشرعِ، فلا يَجعَلُ العبدُ عجزَه توكُّلاً ولا توكُّله عجزاً[٣].[٤] [١٥٨]

[شرح١٥٨] أي: إذا باشر الأسباب كان معطلاً للأمر، كأن ترك =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: بمباشرة التعطيل في نفس التوكل، ولو قرنت لكان أظهر للمعنى، أراد الشارح بهذا تأكيد الإيضاح، وبعض التأكيد ليس بجيد.

(٢) قال سماحة الشيخ: لعلها: أقوى للتوكل، فتكون (من) زائدة؛ يظن معطلها أن تعطيلها كان أقوى للتوكل، هذا معنى الكلام. ومن الممكن أن أصلها (في)، فصحفت العبارة (للتوكل)، و(أقوى في التوكل) أقرب، فاللام بعيدة. أو لعل أصلها (في) وصحفت إلى (من).

(٣) هذا كلام ابن القيم رحمه الله.

(٤) ص٧٠.

.....

= الفرائض مثلاً، والحكمة التي شرع الله من أجلها أوضح الأسباب؛ لأنها يدفع الله بها البلاء، فيشبع بها الجائع، ويروي الله بها الظمآن، ويكتسي بها العاري، يعني: يعطل الحكمة من هذه الأشياء، ومعطل للشرع الذي أمر بهذه الأشياء التي ينبغي أن يفعلها الإنسان من تداوٍ وأكل وشرب ومراعاته لصحته، ومن طاعات لدخول الجنة وترك للمعاصي والنجاة من النار.

فمن ترك هذه الأسباب كلها فقد عطل الأمر والنهي، وعطل الشرع والحكمة، فالأسباب متنوعة، وترك الطاعات تعطيل للشرع، سواء أكانت مستحبة أم كانت واجبة، ترك الأسباب التي تنفع من دواء يحتاج إليه، من لبس الثوب الجيد الثخين في الشتاء، ولبس الملابس المناسبة كذلك، وتبريد الماء، أو تسخين الماء البارد، إلى غير هذا، فكلها أسباب لها حكمة، فإذا عطلها فقد عطل الحكمة التي خلقت لها.

وقوله: (فلا يجعَل عجزَه توكُّلاً ولا توكُّلَه عجزاً) هاتان كلمتان قد تشكلان، فما معناهما؟ =

.....

= المعنى ـ والله أعلم ـ: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يجعل عجزه توكلاً، أي أن يجعل عدم قيامه بالأسباب وعدم عنايته بها توكلاً.

(ولا توكُّلَه عجزاً) أي: إذا بطلت القوى وانتهى كل شيء، قال: أنا توكلت على الله، فلا يعدُّ مثل هذا توكلاً!! إنما ينبغي له أن يجمع بين الأمرين، فيتوكل دائماً، ويتعاطى الأسباب دائماً، فيجمع بينهما، أي: يعتمد على الله دائماً، ويصرف إليه ﷻ مع مباشرة الأسباب.

فلا يكون ممن إذا انتهى كل شيء وعجز عن كل شيء، قال: أنا الآن متوكل على الله، فينبغي له أن يتوكل على الله، وهو قادر وقوي، فيتوكل على الله، ولو ضعفت الأسباب، فيتوكل على الله جل وعلا ويأخذ بالأسباب، ولا ينبغي له أن يجعل عجزه وضعفه وكسله توكلاً، فيقول: لا أفعل كذا، ولا أفعل كذا وكذا، وكأن يقول: لن أعمل بالمزرعة، ولن أتعاطى بالتجارة فأنا متوكل؛ فمثل هذا إنما هو عجز وما هو بتوكل*.

* س: بعض المحلات التي يطلب فيها العلاج كلها منكرات ومعاص =

.....

= ونساء سافرات وكلها بلايا؟

ج: قد يكون له عذر بذلك إذا صبر على المرض، ويؤجر على ذلك بسبب قصده الصالح، أنه إذا ذهب البلاء فقد يصاب في دينه أو عقيدته لما يشاهده، فيعذر في هذا؛ لأنه ترك أسباباً مباحة؛ لئلا يقع في محرمات، فالتداوي مستحب، وهذا الأصلح، لكن قد يفضي به هذا التداوي إلى أشياء لا تحمد عقباها، لأن اللواتي يباشرنه نساء، وقد يكن جميلات، وقد لا يأمن على نفسه من الميل إليهن، فالحاصل أنه إذا رأى أن العلاج فيه مشقة عليه أكثر، وأن خطره أعظم، فيكون تركه حينئذ أفضل.

س: وهل الأفضل له أن يصبر على المرض؟

ج: إذا كان يخشى من العلاج شراً أكبر، نسأل الله العافية.

***

obeikandl.com

باب الخوف من الشرك

۞ لما كان الشِّركُ أعظمَ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به؛ ولهذا رتَّب عليه من عقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ ما لم يُرتِّبه على ذنبٍ سِواهُ، من إباحة دماءِ أهلِه وأموالهم، وسَبْي نسائهم وأولادِهم، وعدمِ مغفرتِه من بين الذنوبِ إلا بالتوبةِ منه.

نبَّه المصنِّفُ بهذه الترجمةِ على أنه ينبغي للمؤمنِ أن يخافَ منه، ويحذَره، ويعرفَ أسبابَه ومبادئَه وأنواعَه؛ لئلا يقعَ فيه؛ ولهذا قال حذيفةُ: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسألُه عن الشَّرِّ مخافةَ أن أقعَ فيه. رواه البخاري[1]. [١٥٩]

[شرح١٥٩] وأيضاً رواه مسلم في «الصحيح»؛ فالحديث رواه الشيخان[2]، وهو حديث طويل له شأن، وهو حديث جليل عظيم، وفي آخره لما سأله: كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال النبي ﷺ: «نعم» ثم قال حذيفة: وهل =

(١) ص٧٢.

(٢) البخاري: المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٧).

.....

= بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قوم يهدون بغير هَديي، ويَستَنُّون بغير سُنَّتي، تَعرِف منهم وتُنكِر». قلت: صِفهُم لنا يا رسول الله. قال: «دعاةٌ على أبواب جهنَّم من أجابَهُم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صِفهُم لنا. قال: «هم من جلدَتِنا ويتكلمون بألسنتِنا». قلت: فما تأمُرُني إن أدرَكَني ذلك. قال: «تلزَمُ جماعةَ المؤمنين وإمامَهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتزِل تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ على أصلِ شجرةٍ، حتى يأتيَكَ الموتُ وأنت على ذلك»[1].

وهو حديث جليل عظيم، وهو في «الصحيحين» جميعاً، وهو في كتاب الفتن الجزء الأخير، الجزء الثالث عشر من «فتح الباري»*.

---

* س: ما معنى «تعض على أصل شجرة»؟

ج: يعني: ولو كنت وحدك، فإن لم توجد جماعة للمسلمين فلا تخالط الناس على باطلهم، بل تعتزلهم وتثبت على الحق ولو أن تموت على ذلك، وهذا واضح.

---

(١) أخرجه البخاري: المناقب (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٧).

۞ وذلك أنَّ مَن لم يَعرِف إلا الخيرَ قد يأتيه الشرُّ ولا يعرف أنه شَرٌّ، فإما أن يقعَ فيه، وإمّا أن لا ينكِرَه كما ينكِرُه الذي عَرَفه، ولهذا قال عمرُ ابن الخطاب ﷺ: إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلامِ عُروةً عُروةً إذا نشأَ في الإسلامِ من لم يَعرِفِ الجاهليةَ[1]. [١٦٠]

[شرح١٦٠] الله المستعان، هذا من أسباب الفساد والشر أن الإنسان لا يعرف الجاهلية ولا يعرف الشر، فيخيل إليه أن كل شيء خير؛ فهذا يفيد أنه ينبغي للإنسان أن يعرف هذا وهذا، وأن لا يقتصر على الخير فقط ولا على الشر فقط، بل يتعلم هذا وهذا؛ يتعلم حدود الشرك والمعاصي التي حرمها الله عليه حتى يجتنبها، ويتعلم ما أوجبه الله عليه وما شرعه حتى يأتي به؛ فيكون المؤمن مجاهداً في هذا وفي هذا؛ فيتعلم ما شرع الله له وما أوجبه عليه، حتى يؤديه على بصيرة، ويتعلم ما حرمه الله عليه من الشرك وما دونه، حتى يدعَه على بصيرة، وحتى لا يلتبسَ عليه يوماً ما.

---

(١) ص٧٢.

۞ قال شيخُ الإسلامِ: وهو كما قال عمر؛ فإن كمالَ الإسلامِ هو الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكَرِ، وتمامُ ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف فلم يَعرِف غيرَه، فقد لا يكون عندَه من العلمِ بالمنكرِ وضَرَرِه ما عندَ مَن عَلِمَه، ولا يكون عندَه من الجهاد لأهلِه ما عند الخبيرِ بهم؛ ولهذا يوجد عند الخبيرِ بالشرِّ وأسبابِه ـ إذا كان حَسَنَ القصدِ ـ من الاحترازِ عنه والجهادِ لهم ما ليس عندَ غيرِه.

ولهذا كان الصحابةُ أعظمَ إيماناً وجهاداً ممن بعدَهم، لكمالِ معرفَتِهم بالخيرِ والشرِّ، وكمالِ محبَّتِهم للخيرِ وبُغضُهم للشرِّ، لما علموه من حُسنِ حالِ الإيمانِ والعملِ الصالحِ وقُبحِ حالِ الكفرِ والمعاصي.

قال: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

قال ابنُ كثيرٍ: أخبرَ تعالى أنه ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي: ﴿لَا يَغْفِرُ﴾ لعبدٍ لقيَه وهو مشركٌ به، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ =

= ذَٰلِكَ ﴾ أي: من الذُّنوبِ، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من عبادِه.

قلتُ: فتبيَّن بهذا أن الشركَ أعظمُ الذنوبِ؛ لأن اللهَ تعالى أخبرَ أنه لا يغفِرُه؛ أي: إلا بالتوبةِ منه، وما عداه، فهو داخلٌ تحت مشيئةِ الله: إن شاءَ غفرَه بلا توبةٍ، وإن شاءَ عذَّب به، وهذا يوجِبُ للعبدِ شِدَّةَ الخوفِ من هذا الذنبِ الذي هذا شأنُه عندَ الله!

وإنما كان كذلك:

١- لأنه أقبحُ القبحِ، وأظلمُ الظُّلمِ؛ إذ مضمونُه تنقيصُ ربِّ العالمين، وصَرفُ خالص حَقِّه لغيرِه، وعَدلُ غيرِه به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

٢- ولأنه مُناقِضٌ للمقصود بالخلقِ والأمرِ، مُنافٍ له من كلِّ وجهٍ[1]. [١٦١]

[شرح١٦١] يعني: المقصود بالخلق أن يعبدوا الله وحده، والأمر =

(١) ص٧٢-٧٣.

.....

= كذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] فالشرك يناقض ذلك كله، وقد تنقص الله من جعل له شريكاً من معبوداته، كما كانت العرب تقول: إلا شريكاً تملكه وما ملك! فهذا تنقص لله، ثم كيف يكون شريكه ومملوكه؟! وكذلك هذا عدل بالله بمساواة غيره به؛ فهذا يعبد وهذا يعبد، فسوى غيره به، وهذا من أظلم الظلم، وسوء ظن بالله أن يظن أنه يرضى بهذا أو يقر هذا.

obeikandl.com

۞ وذلك غايةُ المعاندةِ لربِّ العالمين، والاستكبارِ عن طاعته والذُّلِّ له، والانقيادِ لأوامرِه، الذي لا صلاحَ للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خَرِبَ وقامت القيامةُ كما قال ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرضِ: اللهُ اللهُ». رواه مسلم[1].[2] [١٦٢]

[شرح١٦٢] جاء في بعض الروايات: «حتى لا يُقال في الأرض: لا إلهَ إلا اللهُ»[3]. نفس الكلمة كلمة التوحيد، عند مسلم: «الله الله»، والمعنى: الله موجود، أو الله أكبر، وما أشبه ذلك، يعني: أن الناس ينسون ربهم بالكلية، عندما يرفع القرآن ويجهل الناس حقيقة الدين، ويقبض الله أرواح المؤمنين والمؤمنات، ويبقى الأشرار لا يعرفون إلا آلهتهم المعبودة من دون الله، من أوثانهم وأصنامهم، ولا يبقى لهم علم بالله ﷻ بالكلية، فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٤٨).

(٢) ص٧٣.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٨).

۞ ٣- ولأن الشِّرك تشبيهٌ للمخلوقِ بالخالقِ ـ تعالى وتقدَّسَ في خصائص الإلهيةِ من مُلْكِ الضَرِّ والنَّفعِ، والعطاءِ والمنعِ، الذي يوجبُ تَعلُّقَ الدعاءِ والخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ وأنواعِ العبادةِ كلِّها بالله وحدَه، فمن عَلَّقَ ذلك لمخلوقٍ فقد شَبَّهه بالخالق، وجعلَ من لا يملك لنفسه ضَرّاً ولا نَفْعاً ولا مَوتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً ـ فَضلاً عن غيرِه ـ شبيهاً بمن له الخَلقُ كلُّه، وله المُلكُ كلُّه، وبيدِه الخيرُ كلُّه، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّه سبحانَه.

فأَزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيديه سبحانَه، ومَرجِعُها إليه، فما شاءَ كان، وما لم يشأْ لم يكُن، لا مانعَ لما أعطَى، ولا مُعطِيَ لما منعَ، الذي إذا فتحَ للناس رحمةً فلا ممسكَ لها، وما يُمسِك فلا مُرسِلَ له من بعدِه، وهو العزيزُ الحكيمُ، فأقبحُ التشبيهِ تشبيهُ العاجزِ الفقيرِ بالذاتِ بالقادرِ الغنيِّ بالذاتِ، ومن خصائصِ الإلهيةِ الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوهِ الذي لا نَقصَ فيه بوجهٍ من الوجوه.

وذلك يوجِبُ أن تكونَ العبادةُ كلُّها له وحدَه، والتعظيمُ =

= والإجلالُ والخشيةُ والدعاءُ والرجاءُ والإنابةُ والتوكُّلُ والتوبةُ والاستعانةُ وغايةُ الحبِّ مع غاية الذُّلِّ، كل ذلك يجبُ عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكونَ لله وحدَه، ويمتنعُ عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكونَ لغيرِه، فمَن فعلَ شيئاً من ذلك لغيرِه فقد شَبَّه ذلك الغيرَ بمن لا شبيهَ له، ولا مثلَ له، ولا نِدَّ له، وذلك أقبحُ التشبيهِ وأبطلُه، فلهذه الأمورِ وغيرِها أخبرَ سبحانَه أنه لا يغفرُه مع أنه كتبَ على نفسِه الرحمةَ.

هذا معنَى كلامِ ابنِ القيِّم.

وفي الآية رَدٌّ على الخوارجِ المُكفِّرين بالذنوب، وعلى المعتزلةِ القائلين بأن أصحابَ الكبائرِ يدخلون النارَ، ولا بُدَّ، ولا يخرجون منها، وهم أصحابُ المنزلةِ بين المنزلتينِ، ووجهُ ذلك أن اللهَ تعالى جعلَ مغفرةَ ما دونَ الشِّركِ معلَّقةً بالمشيئة، ولا يجوزُ أن يُحمَلَ هذا على التأكيدِ[1]*.

* سؤال من الشيخ: ما وجه الرد من الآية على الخوارج والمعتزلة؟ =

(١) ص٧٣-٧٤.

.....

= **أحد الطلبة:** الخوارج لأنهم يكفرون بالمعاصي، والله ﷻ جعل أكبر معصية الشرك، وما دون الشرك إن شاء غفره وإن شاء عذب به.

الشيخ: فدل هذا على أنه ليس بكافر؛ لأن الكافر لا يغفر له إذا مات على كفره.

أحد الطلبة: والمعتزلة يقولون بالمنزلة بين المنزلتين؛ بمعنى أنه لا يعد كافراً ولا مؤمناً، وهو مخلد في النار، فيوافقون الخوارج في الآخرة.

الشيخ: والتعليق يقتضي أنه قد لا يخلد، وأنه لا يدخل النار أيضاً، ما دام أنه معلق، فقد يغفر له ولا يدخل النار، فالرد واضح عليهم.

obeikandl.com

۞ فإن التائبَ لا فَرقَ في حقِّه بين الشركِ وغيرِه، كما قال تعالَى في الآية الأُخرى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] فهنا عَمَّمَ وأطلقَ، لأن المرادَ به التائبُ، وهناك خَصَّ وعلَّقَ لأن المرادَ به من لم يتب. قالَه شيخُ الإسلامِ[1]. [١٦٣]

[شرح١٦٣] هذا محل إجماع بين أهل العلم والتفسير، فآية الزمر الكريمة في التائبين بإجماع أهل التفسير وأهل العلم؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فأطلق وعمَّم، ولم يشرط الشرك، فدل على أن المراد به التائبون، وأما المشرك فلا يغفر له لو مات على شركه كما في آية النساء.

وفي آية النساء خص وعلق، خص الشرك بعدم المغفرة وعلق ما دونه على المشيئة، فدل على أن المراد غير التائبين؛ لأن القرآن لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً. =

---

(١) ص٧٤.

.....

= فآية الزمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ في حق التائبين، فمن تاب تاب الله عليه في الشرك وما دونه، وآية النساء في حق غير التائبين؛ لأنه خصص وعلق، خصص الشرك بالمغفرة، وعلق ما دونه على المشيئة، فدل على أن المراد به غير التائبين*.

* س: قيل: إن آية الزمر من أرجى الآيات، فكيف يكون هذا وبعدها الشروط المقيدة لتلك التوبة: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]؟

ج: وعدهم المغفرة وأمرهم، فبين لهم أن المغفرة لا تكون بمجرد أنسابهم وأسمائهم ونحو ذلك، بل بأسباب؛ بالأعمال الصالحات، فالمغفرة لها أسباب مثل التوبة والعمل الصالح.

obeikandl.com

۞ قولُه: وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

الصَّنَمُ: ما كان مَنحُوتاً على صورةِ البشرِ، والوثَنُ: ما كان منحوتاً على غيرِ ذلك، ذكره الطبريُّ عن مجاهد.

والظاهرُ أن الصنمَ ما كان مصوَّراً على أيِّ صورةٍ، والوثنَ بخلافِه كالحجرِ والبُنْيةِ[1]. [١٦٤]

[شرح١٦٤] «البنية»: هي ما يبنى على أي مكان كعمود أو جدار أو قبة تعبد، والمقصود أن الصنم لا يختص بما كان منحوتاً على صورة البشر، كما قال الشارح لا كما قال ابن جرير رحمه الله، فمن حفر الصور كصورة أسد أو صورة ذئب أو صورة إنسان أو صورة ملك، فهذا يقال له: صنم إذا عُبد من دون الله، فإذا لم يعبد يقال له: صورة، وكذلك الوثن هو ما يعبد من دون الله مطلقاً، حتى الصنم يسمى وثناً، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت:١٧]. =

---

(١) ص٧٤.

.....

= سمى الأصنام أوثاناً؛ فالوثن أعمّ، والصنم أخصّ، فكل صورة معبودة من صور الحيوانات فهي صنم، وكل ما يعبد من دون الله يسمى وثناً، فيطلق ذلك على الأصنام وعلى غير الأصنام، كالأشجار والأحجار المعبودة من دون الله، والصور المعبودة من دون الله، فكلها تسمى أوثاناً.

obeikandl.com

۞ وإن كان الوَثَنُ قد يُطلَق على الصنمِ، ذكر معناه غيرُ واحدٍ، ويُروَى عن بعض السلف ما يدلُّ عليه.

وقوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾ أي: اجعلني ﴿وَبَنِيَّ﴾ في جانبٍ عن عبادةِ الأصنامِ، وباعِد بيني وبينها، قيل: وأرادَ بذلك بَنيهِ وبناتِهِ من صُلبِه، ولم يذكرِ البناتِ لدخولهم تَبَعاً في البنين، وقد استجابَ اللهُ دعاءَه وجعلَ بنيهِ أنبياءَ، وجنَّبَهم عبادةَ الأصنامِ، وإنما دعا إبراهيمُ عليه السلامُ بذلك لأنَّ كثيراً من الناس افتُتِنُوا بها، كما قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].

فخاف من ذلك ودعا الله أن يُعافِيَهُ وبَنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيمُ عليه السلامُ يسألُ اللهَ أن يَجنُبَه ويَجنُبَ بَنيهِ عبادةَ الأصنامِ، فما ظنُّكَ بغيرِه؟ كما قال إبراهيمُ التَّيميُّ: ومن يأمنُ من البلاءِ بعدَ إبراهيم. رواه ابنُ جريرٍ وابن أبي حاتم[1]. [١٦٥]

[شرح١٦٥] قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] =

(١) ص٧٤.

.....

= كما قال الشارح يفيد أن المؤمن يسأل ربه العافية من مضلات الفتن، ومن أسباب الفتن، ولا سيما عند كثرتها ووجود أسبابها، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما رأى أنها أضلت كثيراً من الناس سأل ربه أن يقيه وبنيه عبادة الأصنام.

وبنوه يحتمل أنه ليس له بنات، ولهذا خص البنين، ويحتمل أن له بنات ولكن ترك ذكرهن تبعاً للبنين كما قال الشارح، والأقرب ـ والله أعلم ـ أنه ترك ذكرهنَّ لأنهن غير موجودات، والمقصود أنه سأل لبنيه فقط الوقاية من عبادة الأصنام، ويحتمل أنه أراد البنين المخصوصين، وهم الحاضرون الموجودون في زمانه من صلبه.

ويحتمل أنه أرادهم وغيرهم، فاستجيب له في بعض، ولم يستجب له في بعض؛ فإن قريشاً كلهم من ذرية إبراهيم، ومع هذا وقع فيهم الشرك، ومنهم أبو طالب، ومنهم أبو لهب المنصوص عليه أنه من أهل النار.

فالمقصود أن هذه الدعوة قد تكون أراد بها قوماً مخصوصين من بنيه، وهم الموجودون لديه في ذاك الوقت، فأجاب الله دعوته =

.....

= فيهم، وقد يكون أراد بنيه وبني بنيه الموجودين، وقد يكون أراد آخرين منهم.

فالحاصل أنه دعا، وليس كل دعوة يدعوها نبي تستجاب، فقد يستجاب له في بعض، وقد لا يستجاب له في بعض، فدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانت مظنة الإجابة لكنها قد تستجاب وقد لا تستجاب، وقد تجاب في بعض، ولا تجاب في بعض، فقد دعا النبي ﷺ لأمته «أن لا يجعلَ بأسَهُم بينَهم» فلم يُستجَب له في ذلك عليه الصلاة والسلام[1]، وكذلك دعا على جماعة فلم يستجب له فيهم، بل هداهم الله وأسلموا.

فالحاصل أن دعوات الأنبياء وغير الأنبياء قد تستجاب لما فيها من المصالح العظيمة، وقد لا تستجاب لحكمة بالغة أرادها الله ﷻ، فليس كل دعوة من الأنبياء وغيرهم تستجاب أبداً، وإن كان الأنبياء أَولى الناس بالاستجابة، وأحقهم بالاستجابة، لفضلهم وتقدمهم على غيرهم بالعلم والعمل، ولكن ربك حكيم عليم جل وعلا، =

(١) أخرجه مسلم: الفتن (٢٨٩٠).

.....

= فهو أحكم وأعلم ﷻ، فهو أعلم بأحوال عباده، فقد تكون الدعوة محل استجابة لحكم وأسرار، وقد تكون ليست محل الإجابة لحكم وأسرار خفيت على من دعا*.

* س: هل جميع العرب من ذرية إسماعيل؟

ج: معروف أن بعض العرب من قحطان، وقريش جماعة آخرون من العرب من ذرية إسماعيل مثل تميم وغيرهم فهم أُمم كثيرة، ولكن قريشاً مقطوع أنهم من ولد إسماعيل؛ والحاصل أن دعوته لبَنيه ليست عامة لكل ذريته إلى يوم القيامة أنهم يهتدون وأنهم يُسلِمون.

obeikandl.com

۞ وهذا يوجِبُ للقلبِ الحيِّ أن يخافَ من الشِّركِ، لا كما يقول الجُهَّالِ: إن الشركَ لا يقعُ في هذهِ الأُمةِ، ولهذا أَمِنوا الشركَ فوَقَعوا فيه، وهذا وجهُ مناسبةِ الآيةِ للترجمةِ.

قال: وفي الحديث: «أخوفُ ما أخافُ عليكُم الشِّركُ الأصغرُ» فسُئِل عنه فقال: «الرِّياءُ»[1].[2] [١٦٦]

[شرح١٦٦] إذا كان إبراهيم يخاف البلاء على بنيه وعلى نفسه، فجدير بكل مؤمن أن يخشى على نفسه، وأن يحذر الشرك وأسبابه ووسائله، وألا يتساهل؛ فإن العبد إذا أمن الشيء وتساهل فيه قد يقع فيه، وهو لا يشعر لتساهله وغفلته، لكن متى أخذ حذره، ومتى استعان بالله على السلامة من ذلك الشيء، فهو حري أن يوفق ويعان، وهكذا سنة الله في عباده، فمن حذر الشيء وخافه وابتعد عن أسبابه فالغالب عليه السلامة، ومن تساهل وتهاون بالشيء فقد يقع فيه لغفلته وتساهله.

ولما ابتلي كثير من الناس بظنهم أن الشرك لا يقع من الأمة، =

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) ص٧٤-٧٥.

.....

= وأن الأمة مطهرة جهلاً منهم، وقعوا في الشرك واستحسنوه، ودعوا إليه وهم لا يشعرون، نسأل الله العافية، مثل كثير من عُبّادِ الأولياء كعُبّاد البدوي، وعباد الحسين، وعباد الشيخ عبد القادر، وعباد الأنبياء، وقعوا في الشرك، ودعوا إليه، وتمرغوا فيه، وهم يظنون أنهم سالمون، وأنهم مطهرون.

obeikandl.com

۞ هكذا أوردَ المصنِّفُ هذا الحديثَ مختصراً غيرَ مَعزُوٍّ، وقد رواه الإمامُ أحمدُ، والطبرانيُّ، وابنُ أبي الدنيا، والبيهقي في «الزهد»، وهذا لفظُ أحمدَ قال: حدثنا يونسُ، قال: حدثنا ليثٌ، عن يزيدَ ـ يعني ابنَ الهادِ ـ قال: عن عَمرٍو، عن محمودِ بنِ لَبِيد، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشِّركَ الأصغرَ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال:«الرياءُ، يقول اللهُ يومَ القيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهم: اذهبُوا إلى الذين كنتُم تُراؤُونَ في الدُّنيا، فانظُرُوا هل تَجِدونَ عندَهم جزاءً»[1].

قال المنذريُّ: ومحمودُ بنُ لبيدٍ رأَى النبيَّ ﷺ ولم يصحَّ له منه سماعٌ فيما أرَى، وذكر ابنُ أبي حاتم أن البخاريَّ قال: له صُحبةٌ. قال: وقال أَبي: لا تُعرَفُ له صحبةٌ. ورجَّحَ ابنُ عبدِ البرِّ الحافظُ أن له صُحبةً وقال: جُلُّ روايتِه عن الصحابةِ، وقد رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ جيدٍ عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن رافع =

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) ولم أقف عليه في المطبوع من «الزهد» له.

= بن خَدِيج، وقيل: إن حديثَ محمودٍ هو الصوابُ دون ذِكرِ رافعٍ، مات محمودٌ سنةَ ستٍّ وتسعينَ، وقيل: سنةَ سبعٍ وله تِسعٌ وتسعونَ سنةً[1]. [١٦٧]

[شرح١٦٧] تقدم في المصطلح أن مرسل الصحابي حُجة، وأن الصحابي وإن لم يكن له سماع، فإن روايته عن الصحابة غالباً، ولهذا كانت رواية طارق ابن شهاب عن أبي موسى كثيرة وعن غيره.

الحاصل أن مرسلات الصحابة حجة قائمة ومسندة، فلهذا يقول العراقي:

أما الذي أَرسلَهُ الصَّحابِيْ فحكمُهُ الوَصلُ على الصَّوابِ

وبعضهم حكى فيه الإجماع.

فهنا «الليثُ» هو الليثُ بن سعد، و«عمرو» هو عمرو بن دينار[2]، والله أعلم، وهذا السند معروف عنده. =

---

(١) ص٧٥.

(٢) بل هو عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، لم يسمعه من محمود بن لبيد بينهما عاصم بن عمر بن قتادة، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر، =

.....

= ثم ذكر الشارح أنه رواه الطبراني بسند جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج أن رسول الله ... الحديث، أي: فاتصل أيضاً.

= عن محمود بن لبيد. وقد ذكر الإمام أحمد أن عمراً هو عمرو بن أبي عمرو في «مسنده» (٥/ ٤٢٨) في الحديث الذي يلي هذا الحديث، فقال: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم ابن عمر الظفري عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم» فذكر معناه. أي: معنى الحديث المذكور.

obeikandl.com

۞ قوله: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشركَ الأصغرَ»[١] هذا مِن رحمتِه ﷺ لأُمته وشفقَتِه عليهم، وتحذيرِه مما يخافُ عليهم، فإنه ما من خيرٍ إلا دَلَّهم عليه وأمرَ به، وما من شَرٍّ إلا وأخبرَهم به وحذَّرَهم عنه، كما قال ﷺ فيما صَحَّ عنه: «ما بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلا كان حقاً عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يعلَمُه لهم، وينهاهُم عن شرِّ ما يعلَمُه لهم»[٢].[٣] [١٦٨]

[شرح١٦٨] رواه مسلم في «الصحيح»[٤] من حديث عبد الله بن عمرو، وفي آخر هذا الحديث ذكر الفتن ثم قال: «فمن أحَبَّ أن يُزَحزَحَ عن النار ويُدخَلَ الجنةَ، فلتدرِكه مَنِيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يُحبُّ أن يُؤتَى إليه»، أي: وليعامل الناس كما يحب أن يعامل» .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم: الإمارة (١٨٤٤).

(٣) ص٧٥.

(٤) مسلم: الإمارة (١٨٤٤).

۞ ولما كانت النفوسُ مجبولةً على محبَّةِ الرياسةِ والمنزلةِ في قلوبِ الخلقِ إلا من سَلَّم اللهُ، كان هذا أخوفُ ما يُخافُ على الصالحينَ لقوَّةِ الداعي إلى ذلك، والمعصومُ من عَصَمَه اللهُ[1]. [١٦٩]

[شرح١٦٩] لأن الشيطان يأتي إلى العباد والصالحين، ويزين لهم كثيراً بإظهار شيء من أعمالهم لمحبة الناس، أو ثناء الناس، أو السمعة بين الناس، وهذه من دسائس الشيطان ومكائده، يبتلي كثيراً من العباد والأخيار لإظهار بعض الأعمال للرياء، فحذر النبي ﷺ من ذلك، وأبدى عاقبة ذلك عليه الصلاة والسلام، وأن تكون أعمال العبد كلها لله وحده يبتغي بها وجهه ﷻ، وليحذر مكائد الشيطان في تزيينه إظهار بعض الأعمال من أجل مراءاة الناس أو سمعتهم.

فإذا خِيفَ على الصالحين من الشرك الأصغر، فيخاف على من غيرهم من باب أولى الشرك الأكبر والأصغر جميعاً، فإذا كان الصالح صاحب العلم وصاحب الفضل يخشى عليه ـ مع علمه =

---

(١) ص٧٥.

.....

= وفضله وفقهه ـ أن يقع في الشرك الأصغر، فكيف بالجاهل الذي ليس عنده من البصيرة والعلم ما عند ذلك الصالح وذلك العالم؟! فهو يخشى عليه من هذا ومن هذا، وهذا هو الشاهد إذا كان يخشى على الصالحين من الشرك الأصغر، فمن ليس عنده صلاح بل عنده فسق يخشى عليه مما هو أكبر منه وهو الشرك الأكبر*.

---

* **س: سؤال حول العصمة، هل يجوز للإنسان أن يقول: اللهم اعصمني؟**

ج: لا، بل: احفظني، وإن كان ليس أحد معصوماً إلا الرسول ﷺ، بل يحفظ الله بعض العباد حتى لا يقع في الشر فضلاً منه وإحساناً ﷻ.

س: ما مدى صحة هذا الحديث أن النبي ﷺ إذا نظر في المرآة، قال: «اللهمَّ كما حَسَّنتَ خَلْقي فحَسِّن خُلُقي»؟

ج: لا أعرف هذا[1]، لكن يوجد حديث رواه جماعة، ذكره الحافظ: «اللهمَّ أحسنتَ خَلْقي فأحسِن خُلُقي»[2] وهذا غير مقيد بالنظر في المرآة، وهذا لا بأس به، أما ذكر المرآة في الحديث ما أتذكره.

---

(١) هو عند ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٣)، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣).

۞ وهذا بخلافِ الداعي إلى الشِّركِ الأكبرِ فإنه إمّا معدومٌ في قلوبِ المؤمنينَ الكاملينَ، ولهذا يكون الإلقاءُ في النارِ أسهلَ عندَهم من الكفرِ[1]. [١٧٠]

[شرح١٧٠] وقد ذكر هذا ﷺ في قوله: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ... وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفرِ بعدَ أن أنقذَه اللهُ منه، كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النارِ»[2].

---

(١) ص٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: الإيمان (١٦)، ومسلم: الإيمان (٤٣).

obeikandl.com

۞ وإما ضعيفٌ، هذا مع العافيةِ، وأما مع البلاءِ فـ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فلذلك صارَ خوفُه ﷺ على أصحابه من الرياءِ أشدَّ لقوَّةِ الداعي وكثرتِه دونَ الشركِ الأكبرِ لما تقدَّم[1]. [١٧١]

[شرح١٧١] ولهذا جاء في حديث آخر قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشَى عليكم، ولكنِّي أخشَى أن تُبسَطَ عليكُم الدُّنيا»[2]، فذاك الشرك الأكبر، لأنهم قد عرفوا من حال الجاهلية ومن حال عبادة الأصنام والأوثان ما عرفوا، فهم لا يخشى عليهم أن يقعوا في الشرك الأكبر، لكمال علمهم، وكمال بصيرتهم، وقلة الداعي إلى ذلك، ولكن خاف عليهم الفتنة في الدنيا وشهواتها وشرها، قال: «والله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشَى أن تبسطَ عليكم الدُّنيا»[3]، وهنا خاف =

---

(١) ص٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٥٨)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٥٨)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

.....

= عليهم الشرك الأصغر لكثرة دواعيه، ومكائد الشيطان في شأنه، وتزيينه للناس من أهل العلم والصلاح ونحو ذلك*.

* س: هل يدخل حب الدنيا والتمتع فيها في الشرك الأصغر؟

ج: قد يقع؛ لأن في الإنسان ضعفاً باتباع هواه، ويعدّه جمع من أهل العلم نوعاً من الشرك الأصغر، لأنه نوع من الهوى، لكن الصحيح في هذا أنه لا يسمى بالشرك الأصغر إلا بالنقل، فما جاء به النقل يسمى الشرك الأصغر، وما لم يأت به النقل وهو من المحرم فهو من باب المعاصي، أو من باب البدع على حسب حاله.

فالشرك يقتصر فيه على النقل، فما كان من نوع العبادة لغير الله هذا الشرك الأكبر، وما كان دون ذلك مما يسمى شركاً كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، والرياء، هذا يسمى شركاً كما جاءت به النصوص لكنه أصغر.

وأما الزنى والسرقة وأشباه ذلك فهذه تسمى معاصي وتسمى كبائر، حسب ما جاء في النصوص، لكن بعض السلف يطلق على المعاصي أنها نوع من الشرك الخفي، لأنها نوع من اتباع الهوى، فهذا من باب الاجتهاد يسميها بعض الناس من باب الاجتهاد.

س: كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]؟ =

.....

= ج: هذا هو نعم.

س: والذي يقع في الفتنة وهو ليس له فيها حيلة؟

ج: يجتهد ويسأل ربه الفرج والهداية والسلامة إذا وقع، ويلجأ إلى الله ويتضرع إليه، ويسأل ربه المخرج.

س: الذي يأتي بعض الرياء من أمور الدنيا مثلاً، مثل أن يحس في نفسه أنه رامٍ أو شيء ويفتخر على غيره؟

ج: هذا شيء ثانٍ، «إن اللهَ أوحَى إليَّ أن تواضَعُوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ»[1]، ما ينبغي له أن يفخر لا برمايته ولا بسياقته، وليحمد الله الذي أعطاه ويسر له سبحانه، والحمد لله والفضل لله، فقد يبتلى بتضييع هذه المعرفة وبجهلها، ويبتلى الآخر المحقور والمسخور بالفوز والبصيرة والنجاح.

س: قول: «صدق الله العظيم» بعد قراءة القرآن، هل هو بدعة، وإذا كان كذلك فما معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥]؟

ج: هذا الذي يفعله الناس لا أصل له، وينبغي تركه، أما إذا قال في بعض الأحيان لمناسبة أو شيء للتعجب من عظم ما في الآيات، وما دلت =

(١) أخرجه مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥).

.....

= عليه من المعنى العظيم، وما ظهر من مطابقتها، وقال: «صدق الله العظيم» من باب بيان عظم شأنه، وبيان عظم ما أخبر به ﷻ، ولا يتخذ عادة عند التلاوة، فلا بأس به.

من هذا قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥] «صدق الله» فيما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ليس هذا المراد أن يقال دائماً، إنما قاله النبي ﷺ لبيان صحة ما جاءت به التوراة والإنجيل وما جاء به القرآن.

س: عندما دخل الحسن والحسين فقال النبي ﷺ: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]»[1]؟

ج: عند المناسبة مثل ما استعمل عند الصحابة صدق الله وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يدل على عظم ما أرسل به رسوله ومعجزات الأنبياء، وأن الله أخبر عن شيء فوقع، من باب تنبيه الحاضرين على أن هذا الذي رؤي ووجد من دلائل صدق الله ورسوله ﷺ فيما أخبر عنه.

س: الآن استمر حتى في الصلاة فيقوله أحدهم في الصلاة؟

ج: هذا من الجهل لأنه اعتاده فظن أنه قربة، فهذا لا أصل له عند =

(١) أخرجه أبو داود: الصلاة (١١٠٩)، وابن ماجه: اللباس (٣٦٠٠)، والترمذي: المناقب (٣٧٧٤)، والنسائي: الجمعة (١٤١٣).

.....

= السلف الصالح، ولا ينبغي أن يتخذ عادة، وقد نبهنا على هذا غير مرة.

س: بعض القراء إذا قرأ القرآن أخذ يهتز ويتمايل، ما أصل ذلك؟

ج: لا نعرف لهذا أصلاً.

س: الذي يُقَبِّلُ القرآنَ هل لهذا أصل؟

ج: إذا كان عن محبة وعن شيء في نفسه، لا نعرف في هذا شيئاً، لكن ليس مشروعاً، فالذي يضع المصحف على عينيه ويقبل المصحف ويقول: هذا كلام ربي، ما نعرف فيه شيئاً، وإنما هومن باب المباحات.

obeikandl.com

۞ مع أنه أخبرَ أنه لا بدَّ من وقوع عبادةِ الأوثانِ في أُمَّتِه، فدلَّ ذلك على أنه ينبغي للإنسانِ أن يخافَ على نفسِه الشِّركَ الأكبرَ، إذا كان الأصغرُ مَخُوفاً على الصالحين من الصحابةِ مع كمالِ إيمانهم، فينبغي للإنسان أن يخافَ الأكبرَ لنقصانِ إيمانهِ ومعرفتِه بالله.

فهذا وجهُ إيرادِ المصنِّف له هنا مع أن الترجمةَ تشمَلُ النوعين[1]. [١٧٢]

[شرح١٧٢] ومن هذا ما جاء في الحديث «لا تقوم الساعة حتى تلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثانَ»[2]، ومن هذا الحديث الصحيح: «لَيحمِلَنَّ شِرارُ هذه الأُمَّةِ على سَنَنِ الذين خَلَوا مِن قَبلِهم أهلِ الكتابِ قبلكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ»[3].

ومعلوم أن من سنن من قبلنا عبادة الأوثان وعبادة الأصنام، =

(١) ص٧٥-٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٥٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٥).

.....

= هذه من طرقهم فطرق اليهود والنصارى والمشركين عبادة الأصنام والأوثان، فالنبي ﷺ أخبر أن هذه الأمة تسلك مسالك من كان قبلها.

فدل ذلك على أنه يقع فيهم الشرك في الجزيرة وغير الجزيرة وليسوا معصومين، كما يظن بعض الجهلة أن أمة محمد معصومة لا يقع فيها شر، كذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَضطَرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوسٍ على ذِي الخَلَصَةِ»[1] بَوَّب عليه البخاري في «صحيحه»: «باب تغيُّر الزمانِ حتى تُعبَدَ الأوثان»، المقصود أن هذا واقع، وقد تعلق بعضهم بحديث «إن الشيطانَ قد أَيِسَ أن يُعبدَ في بلدكم هذا»[2] . هذا قد يتعلق به بعض الناس ولا يفهم المراد ولا يدري ما معنى الله ورسوله في الحديث.

فالشيطان قد ييأس من الشيء ويحصل، وقد يرجوه ويحصل، فالشيطان غير معصوم بيأسه ولا برجائه، فهو عدو الله وليس =

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧١١٦)، ومسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الفتن (٢١٥٩)، وابن ماجه: المناسك (٣٠٥٥).

.....

= معصوماً، فقد يرجو شيئاً لظهور أسبابه فلا يحصل، وقد ييأس من شيء لظهور أسباب اليأس فيحصل، فالشيطان لما رأى ظهور الدين وإقبال الصحابة عليه والمسلمين، وظهور الجهاد ونحو ذلك، وقوة الدواعي للحق يئس أن يعبد في الجزيرة، فيئس من عودتهم إلى الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام؛ لما رأى من الصلاح ومن ظهور العلم والفقه في الدين والجهاد الصادق، ولكنه لم يقل: إن الله يأسه، قد يئس هو ولم يقل: إن الله يأسه، ولكنه يرضى بالتحريش بينكم وبما تحتقرون من أعمالكم.

وأخبرنا ﷺ في أحاديث أخرى أن هذا الشرك يقع في هذه الأمة، وقد يقع في الجزيرة نفسها وفي غيرها، فعلم بذلك أن يأس الشيطان ليس معصوماً وليس صحيحاً، فقد يئس ولكنه وقع الشرك في الجزيرة وفي غيرها، وهذا أمر معلوم لا إشكال فيه، وظن بعض الناس أن هذا صحيح، وأن ما يقع من الشرك عند قبر الرسول ﷺ أو عند قبر خديجة بمكة أو عند غيرهما أو عند المشهور من قبور الصحابة أن هذا ليس بشرك، وأن هذه الأمة معصومة. =

.....

= وهذا من الجهل الكبير فالشرك يعرف بواقعه وبأعمال أهله لا بمجرد الخبر الخالي عن كل شيء، فالرسول ﷺ حين أخبر عن يأس الشيطان لم يقل: إن الله قد حفظ يأسه وصدق يأسه، بل مجرد خبر، وأخبر في أحاديث أخرى أن هذا اليأس ليس بصحيح، وأن الشرك قد يقع في هذه الأمة في آخر الزمان، وأنها تعبد الأوثان، وأنها تسلك مسلك من كان قبلها من الأمم في الشرك وغيره، وأن الناس في آخر الزمان ينزع من قلوبهم الإيمان، ويأخذ الله المؤمنين والمؤمنات، ثم يبقى الناس في شرك وباطل وعبادة لغير الله، حتى تقوم عليهم الساعة.

فالأصول في هذا كثيرة جداً في «الصحيحين» وغيرهما، فلا ينبغي أن يغتر المؤمن وطالب العلم بما اغتر به كثير من الناس ممن لم يعرفوا حقيقة الشرك، ولم يعرفوا مراد النبي ﷺ بالأحاديث، بل أخذوا بعضاً وتركوا بعضاً، فغلب عليهم الجهل بالحقائق، ووقعوا في الشرك وهم لا يشعرون بسبب قلة العناية والجمع بين الأخبار، والنظر في النصوص وما تدل عليه، وتطبيق النصوص التي جاءت =

.....

= في هذا على ما دلت عليه والنصوص الأخرى على ما دلت عليه*.

* **س: أخبرني أحد الإخوان أنه وجد في «تاريخ نجد» لابن غنَّام أنه ذكر نساء دوس؟**

ج: وقع هذا في دولة آل سعود حول بيشة، ومعروفة إلى الآن.

س: وهل يقع مرة أخرى؟

ج: قد يقع وماذا يمنع. وموجود الآن الشرك بين الحجاج وغير الحجاج والمواطنين، وإن كانوا قد يخفونه إذا خافوا لكنه يقع، فكثير من الحجاج الآن ليس عندهم من البصيرة والهدى ما يعصمهم من الشرك ويحفظهم منه، فإذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ صاحوا يستغيثون بالرسول ﷺ ويطلبون منه، هكذا في المقابر مقابر أهل البيت من الشيعة وغير الشيعة، هكذا بمكة يقع شيء كثير من هذا، وكثير من الناس الآن لا يعرفون حقيقة التوحيد كما ينبغي، ولهذا يظنوا دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات من الدين ومن الهدى.

س: إذا كان رجل يسلك طريقاً معيناً إلى المسجد ووجد في هذا الطريق الراحة النفسية، أيعد هذا من الشرك؟

ج: لا ليس فيه شيء هذا طيب؛ لأن هذا الطريق أسلم من غيره.

۞ قال المصنِّفُ: وفيه أن الرياءَ من الشِّركِ وأنه من الأصغرِ وأنه أخوفُ ما يُخافُ على الصالحين.

وفيه قُربُ الجنةِ والنارِ والجمعُ بين قربِهما في حديثٍ واحدٍ على عملٍ واحدٍ متقاربٌ في الصورةِ[1]. [١٧٣]

[شرح١٧٣] هذا يشير إلى حديث ابن مسعود الآتي وحديث جابر: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[2]. والجنة والنار قريبتان؛ هذا قد توفي على التوحيد فيكون من أهل الجنة، وهذا قد توفي على الشرك فيكون من أهل النار، وقد يكونان في مكان واحد وفي ساعة واحدة فهذا قد توفي على التوحيد والإيمان فله الجنة، وهذا توفي على الشرك والكفر بالله فله النار، وقد يكونا أخوين، وقد يكون أب وابنه هذا للجنة وهذا للنار؛ نسأل الله العافية.

وفي الحديث الصحيح: «الجنةُ أقربُ لأحدِكم من شراكِ نعلِهِ، =

---

(١) ص٧٦.

(٢) هذا حديث جابر أخرجه مسلم: الإيمان (٩٢) (١٥١). أما حديث ابن مسعود فأخرجه البخاري: الجنائز (١٢٣٨) و (٤٤٩٧) وسيأتي.

.....

= والنارُ مِثلُ ذلك»[1] وجه ذلك أن الرجل قد يموت على التوحيد والإيمان فيكون من أهل الجنة، والآخر يموت على ضد ذلك فيكون في النار*.

* س: رجال دخلوا المسجد والإمام يصلي هل يحق لهم أن يقضوا جماعةً ما فاتهم من الصلاة؟

الشيخ: هل جاؤوا والإمام قد سلم؟

السائل: لا بل بقي عليهم ركعتين، أيقضون باقي الصلاة الجماعة؟

ج: الأفضل عدم ذلك، وهو يصح إن شاء الله، ولكن الأفضل أن يصلي كل واحد منفرداً بنفسه؛ لأن النبي ﷺ لما أدرك عبد الرحمن بن عوف في صلاة الفجر، وقد صلى ركعةً فصلى معه النبي ﷺ والمغيرة الركعة الباقية، ثم قضى كل واحد بنفسه منفرداً الركعة التي فاتته مع عبد الرحمن ابن عوف[2]، ولم يؤمَّ النبيُّ ﷺ المغيرةَ في ذلك، بل كل واحد قضى منفرداً بنفسه، هذا هو الأولى والأفضل، كل واحد يقضي منفرداً، ولو فعلوا صح إن شاء الله.

س: إذا قامت الصلاة وهم يصلون نافلة؟ =

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٨٨).

(٢) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٢١)(١٠٥).

.....

= ج: الأفضل قطعها لقول الرسول ﷺ: «إذا أُقيمت الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبةُ»[1]، إلا إذا كان في آخرها فلا يقطع كأن يكون قد ركع الركوع الثاني فالأفضل عدم القطع؛ لأنه بقي منها الشيء اليسير.

س: قضاء الظهر خلف من يصلي العصر، ما حكمه؟

ج: فيه خلاف بين العلماء، من يقضي الظهر خلف العصر والعشاء ونحو ذلك والأظهر الجواز، لأن النية لا تؤثر والأعمال متماثلة، فإذا نام عن الظهر أو نسيها فلما جاء العصر صلى معهم العصر بنية الظهر، ثم إذا فرغوا قضى العصر.

س: كثير من طلبة العلم يفتي بأنه إذا أقيمت الصلاة وهو يصلي السنن يتمها ويستشهدون بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]؟

ج: هذا قول جماعة من أهل العلم يتمها خفيفة، ولكن ما جاء في الحديث أنه يقطع، وأما ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ المراد به الردة أو المراد به أمر غير شرعي، لا تبطلوا أعمالكم بالردة ولا بالأمور غير الشرعية.

س: إذا كان رجل مسافراً وأتى في جماعة وهم يصلون مقيمين، وأدرك معهم ركعتين يتمها أم لا؟

ج: يتمها أربعاً، هذه هي السنة، في قول بعض أهل العلم يصلي =

(١) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧١٠).

.....

= ركعتين، ولو صلى مع المقيمين ولكنه قول ضعيف، فالصواب أنه إذا صلى مع المقيمين يتم أربعة، لأن ابن عباس لما سئل عن هذا قال: تلك سُنة أبي القاسم[1]؛ وقول الصحابي: هكذا السُّنة، في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٦).

obeikandl.com

۞ قال: وعن ابنِ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن ماتَ وهو يَدعُو لله نِدّاً دخلَ النارَ» رواه البخاري[1].

قال ابنُ القيِّم: النِّدُّ: الشِّبهُ يقال: فلانٌ نِدُّ فلانٍ ونَديدُه، أي: مثلُه وشبهُه. انتهى.

وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر:٨] أي: من ماتَ وهو يدعو لله نِدّاً، أي: يجعلُ لله نِدّاً فيما يختصُّ به تعالى ويستحقُّه مِن الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ دخلَ النارَ لأنه مشركٌ.

فإن اللهَ تعالى هو المستحقُّ للعبادةِ لذاتِه، لأنه المألُوهُ المعبودُ الذي تألَهُه القلوبُ، وترغبُ إليه، وتفزعُ إليه عندَ الشدائدِ، وما سواه فهو مُفتَقِرٌ إليه مقهورٌ بالعبوديةِ له، تجري عليه أقدارُه وأحكامُه طَوعاً وكَرهاً، فكيف يصلُحُ =

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧).

= أن يكونَ نِدّاً؟! قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:١٥].

وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فبطلَ أن يكونَ له نَدِيدٌ مِن خَلقِه، تعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون][1]. [١٧٤]

[شرح١٧٤] الآيات والأحاديث تعمُّ كل تنديد، قد يكون التنديد في الربوبية؛ أي: يزعم أن لله شريكاً في تدبير الأمور وتصريف الأكوان وهذا شرك الربوبية، وهذا لا يقوله غالب الأمم، فقد =

---

(١) ص٧٦.

.....

= ينكرون ذلك ويقرون بأن الله هو المستقل بهذا ﷻ، بما في ذلك كفار أهل مكة من العرب وغيرهم.

المقصود أن هذا نوع من التنبيه، وهو أن يعتقد أن لله شريكاً في التدبير والتصرف، فغالب الأمم تنكر هذا ولا تؤمن به، والتنديد المشهور بين العرب وبين الأمم هو التنديد في العبادة أي: جعلوا نديداً لله يدعى مع الله بزعم أنه وسيط، لأنه مستقل يتصرف في الكون ولكنه وسيط، كما قال الرب ﷻ عن المشركين أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

مثل ما قالوا في التلبية: «لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، هو ند ونديد بزعمهم، لكنه مقهور مربوب لهذا الرب ﷻ، فهو قول متناقض فاسد كيف يكون نديداً ونداً وهو مقهور مربوب؟! هذا كلام من لا يعقل ولكنهم لا يعقلون؛ فأهل الشرك لا يعقلون، ولهذا زعموا أن الشفعاء أنداد، وزعموا أنهم وسائط، وقالوا: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فدعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، ونصبوا القباب على قبورهم، وغير ذلك مما فعلوه، =

.....

= كل ذلك للجهل والضلال الذي وقعوا فيه، وزعموا أن هذه الأنداد، سواء أكانت ملائكةً أو أنبياء أو جِنّاً أو أصناماً أو غير ذلك، زعموا أنها واسطة في تحقيق مطالبهم وتحصيل مآربهم.

فأبطل الله ذلك، وبين ﷻ أنه المعبود بحق جل وعلا، وأنه لا ند له ولا شريك له ولا ظهير ولا عون له ﷻ، وأن الواجب توجيه القلوب إليه وإخلاص العبادة له وحده ﷻ، ولهذا قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار»[1]، أي: يدعوه مع الله، أي: يتخذه نداً لله جل وعلا في العبادة، فيدعوه معه ويرجوه، أو ينذر له ويذبح له، أو يصلي له ويسجد، إلى غير ذلك.

ثم لا يلزم من الند أن يكون مماثلاً بكل الوجوه، فلا يقول أحد: إن الند مماثل لله ﷻ بكل الوجوه، إنما يدعي أنه مماثل من حيث إنه ينفع داعيه، فيجيب دعوة داعيه بالوساطة، ويقضي حاجته، ولا يزعم أنه مثل ربه، ولهذا قالوا: (تملكه وما ملك) فهو ند ببعض الوجوه، ومثيل ببعض الوجوه، لا من كل الوجوه. =

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧)، ومسلم: الإيمان (٩٢).

.....

= وهذا يبين أن التنديد مطلقاً، حتى ولو كان من بعض الوجوه، شرك بالله ﷻ، فالتنديد ممنوع وباطل مطلقاً، سواء أكان يعتقد أنه مساو لله، أو في بعض العبادات فقط، أو في بعض الأشياء فقط، كله باطل.

obeikandl.com

۞ واعلم أن دعاء النِّدِّ على قسمينِ: أكبرَ، وأصغرَ؛ فالأكبرُ لا يغفرُه اللهُ إلا بالتوبةِ منه، وهو الشركُ الأكبرُ. والأصغرُ كيسيرِ الرِّياءِ، وقول الرجل: ما شاءَ اللهُ، وشئتَ، ونحو ذلك، فقد ثبتَ أن النبيَّ ﷺ لما قال له رجلٌ: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، قال: «أجعلْتَنِي لله نِدّاً، بل ما شاءَ اللهُ وحدَه». رواه أحمدُ، وابنُ أبي شيبة، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، والنسائيُّ، وابنُ ماجه[1]. وقد تقدَّم حكمُه في باب فضلِ التوحيدِ[2]. [١٧٥]

[شرح١٧٥] والمقصود أن التنديد هو الشرك، فتقدم أن الشرك قسمان: أصغر، وأكبر.

فالتنديد كذلك يسمى شركاً، ويسمى تنديداً، فهو أكبر وأصغر. =

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وابن ماجه: الكفارات (٢١١٧). كلهم بلفظ «عدلاً» بدلاً من «نداً»، ما عدا البخاري ولفظه: «جعلت لله نداً؟!».

(٢) ص٧٦.

.....

= فالأكبر: ما فيه صرف للعبادة لغير الله، ويسمى تنديداً أكبر، وشركاً أكبر، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم، والجن، والملائكة، والأشجار، والأحجار، وأشباه ذلك، فهذا يسمى شركاً أكبر، وتنديداً أكبر.

والأصغر: وهو ما دون ذلك، فلا يسمى شركاً أو تنديداً في النصوص، لكنه دون القسم الأول، وليس عبادة لغير الله، لكنه نوع شرك، بحيث إنه ساوى الله به في بعض الأمور، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، هذا من الله وفلان، فيسمى هذا تنديداً، ويسمى شركاً؛ لأن فيه شيئاً من المساواة، وشيئاً من الظلم للنفس، فلهذا قيل له: تنديد، وقيل له: شرك أصغر، مثل الرياء.

وهكذا الحلف بغير الله نوع من التنديد، ونوع من الشرك الأصغر، وقد يرتقي بعض هذه الأنواع إلى الشرك الأكبر، على حسب ما يكون بالقلب من تعظيم لغير الله، وإقبال عليه، واعتقاد فيه، ونحو ذلك، فيرتقي من هذا المعنى إلى المعنى الأكبر، وهو الشرك الأكبر، نسأل الله العافية. =

obeikandl.com

.....

= جاء في بعض الروايات «عدلاً» وفي بعضها: «نِدّاً، بل ما شاء الله وحده»، وفيه معنى آخر في الحديث الآخر؛ حديث قُتيلة[1]، ويأتيكم إن شاء الله، قالت اليهود للمسلمين: إنكم تنددون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فأنكر عليهم النبي ﷺ، وتقولون: والكعبة، فأمرهم إذا أراد أحدهم أن يحلف أن يقول: ورب الكعبة، وأن يقول: ما شاء الله ثم ما شاء محمد، فسموا قول: «ما شاء الله وشاء محمد»، «والكعبة»، تنديداً، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك.

فدلَّ ذلك على أن ما كان بهذا المعنى يسمى تنديداً، ومن هذا الحديث الآتي حديث الطفيل بن سَخْبرة: أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مرَّ على النصارى، فقال: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، وهكذا اليهود، قال: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: العزير ابن الله، فقالوا: إنكم لأنتم القوم يا أمة محمد لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «ما شاء الله وحده»[2]. =

(١) أخرجه النسائي: الأيمان والنذور (٣٧٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الكفارات (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢)، ولفظ أحمد: «لا تقولوا: =

.....

= الحاصل أن مثل هذه الكلمات تسمى تنديداً، وتسمى شركاً، ولكنه أصغر في الأغلب*.

* س: التعبير بكلمة «ثبت» وخاصة ممن يدري بقواعد المحدثين ألا يدل على صحة الحديث؟

ج: عند الشارح نعم، عندما يقولها فإنه يعني بذلك صحة الحديث عنده.

س: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨] هل يدخل الشرك الأصغر في الآية؟

ج: فيه خلاف، قال بعض أهل العلم: إن الشرك الأصغر يدخل، وإنه لا يغفر إلا بالتوبة، أو برجحان الحسنات، وقال آخرون: إنه من جنس الكبائر، فيغفر بالتوبة وبالحسنات.

والمعنى متقارب، فإن الحسنات إذا رجحت زال حكم الشرك الأصغر، وكذلك إذا تاب الإنسان منه توبة صادقة، فمعلوم أنه يشمل حتى الشرك الأكبر، أي: جنس عموم الشرك.

وقد يقال: إنه لا يغفر؛ لأنه نوع من الشرك، والآية عامة، فلا يغفر إلا =

= ما شاء الله وما شاء محمد»، وفي «المستدرك» للحاكم (٣/ ٤٦٣) بلفظ: «فلا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده لا شريك له».

.....

= بالتوبة منه، وإنما يبقى على صاحبه، لكن متى عظمت الحسنات وتكاثرت الأعمال الصالحات رجح الميزان، وصار في الكفة المرجوحة، فعند ذلك يبقى لا أثر له، ويبقى الحكم للراجح.

obeikandl.com

۞ قال: ولمسلمٍ عن جابرٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لقيَ الله لا يُشرِكُ به شيئاً دخلَ الجنةَ، ومَن لقيَه يُشرِكُ به شيئاً دخلَ النارَ»[1].

جابر: هو ابنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بن حَرامٍ ـ بمهملتين ـ الأنصاريُّ، ثم السَّلَميُّ بفتحتين[2]. [١٧٦]

[شرح١٧٦] من بني سَلِمة، بخلاف السُّلَميّ بالضم فمن بني سُلَيم المعروفين، وهي قبيلة معروفة من العرب، يقال لهم: بنو سُلَيم، والنسبة إليهم سُلَميّ بالضم لا بالفتح، مثل جُهَني.

أما بنو سَلِمة فمن الأنصار، فالنسبة إليهم سَلَميّ بفتحتين، مثل النسبة إلى بني نَمِر ـ بكسر الميم ـ: نَمَري، بفتح النون والميم، ومنهم ابن عبد البر.

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٩٢) (١٥٢).

(٢) ص٧٧.

۞ صَحابيٌّ جليلٌ مُكثِرٌ، ابنُ صحابيٍّ، له ولأبيهِ مناقبُ مشهورةٌ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ مات بالمدينة بعدَ السبعينَ، وقد كُفَّ بَصَرُه، وله أربعٌ وتسعونَ سنةً[1]. [١٧٧]

[شرح١٧٧] رحمه الله، وأبوه عبد الله بن عمرو بن حرام، وهو من النقباء والأخيار، قتل يوم أحد شهيداً، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) ص٧٧.

obeikandl.com

۞ قولُه: (مَن لقي اللهَ لا يُشرِكُ به شيئاً) قال القُرطُبيُّ: أي: مَن لم يتَّخِذ معه شريكاً في الإلهيةِ، ولا في الخلقِ، ولا في العبادةِ، ومن المعلومِ مِن الشرعِ المُجمَعِ عليه عندَ أهلِ السُّنَّةِ أن من ماتَ على ذلك فلا بُدَّ له من دخولِ الجنةِ، وإن جَرَت عليه قبلَ ذلك أنواعٌ مِن العذابِ والمِحنَةِ.

وإن ماتَ على الشركِ لا يدخلُ الجنةَ، ولا ينالُه من الله رحمةٌ، ويخلدُ في النارِ أبدَ الآبادِ، من غيرِ انقطاعِ عذابٍ، ولا تَصرُّم آمادٍ، وهذا معلومٌ ضروريٌّ من الدينِ، مجمَعٌ عليه بين المسلمين.

وقال النوويُّ: أما دخولُ المشرِك النارَ فهو على عمومِه، فيدخلُها ويخلدُ فيها ولا فرقَ فيه بين الكتابيِّ اليهوديِّ والنَّصرانيِّ وبين عبدةِ الأوثانِ وسائرِ الكفرةِ من المرتدينَ والمُعَطِّلينَ، ولا فرقَ عندَ أهلِ الحقِّ بين الكافرِ عناداً وغيرِه، ولا بين من خالَف مِلَّةَ الإسلامِ وبين مَن انتسبَ إليها، ثم حُكِمَ بكُفرِه بجَحدِه وغير ذلك. =

= وأما دخولُ من ماتَ غيرَ مشركٍ الجنةَ، فهو مقطوعٌ له به، لكن إن لم يكن صاحبَ كبيرةٍ ـ ماتَ مُصِرّاً عليها ـ دخلَ الجنةَ أولاً، وإن كان صاحبَ كبيرةٍ ماتَ مُصِرّاً عليها فهو تحت المشيئةِ، فإن عفا عنه، دخلَ الجنةَ أولاً، وإلا عُذِّبَ في النارِ ثم أُخرجَ فيدخلُ الجنةَ.

وقال غيرُه: اقتَصَر على نفي الشركِ لاستدعائه التوحيدَ بالاقتضاءِ، واستدعائه إثباتَ الرسالةِ باللُّزومِ؛ إذ مَن كَذَّب رسلَ الله، فقد كَذَّبَ الله، ومَن كَذَّبَ اللهَ فهو مشركٌ، وهو كقولكَ: مَن توضَّأ صَحَّت صلاتُه، أي: مع سائرِ الشروطِ.

فالمراد: من مات حالَ كونِه مؤمناً بجميع ما يجبُ الإيمانُ به إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي.

قلت: قد تقدَّمَ بعضُ ما يتعلَّقُ بذلك في باب فضلِ التوحيد.

قال المصنِّفُ: وفيه تفسير «لا إلهَ إلا اللهُ» كما ذكره البخاريُّ في «صحيحه» يعني: أن معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» تركُ =

= الشركِ وإفرادُ الله بالعبادةِ، والبراءةُ ممن عَبَدَ سواه؛ كما بينه الحديث، وفيه فضيلةُ مَن سَلِمَ من الشركِ[1]. [١٧٨]

[شرح١٧٨] وما قاله الشارح معلوم، فلا بد منه لما يعلق على نفي الشرك من دخول الجنة والنجاة من النار، فالمراد مع بقية أمور الدين.

أما من ترك الشرك بالله ﷻ، لكن وُجِد منه أمور أخرى توجب خروجه من الدين،فلا يدخل في هذا الوعد، فلا بد في هذه النصوص من مراعاة النصوص الأخرى، فهذا الأمر لا شك فيه، وأهل العلم يضمون النصوص بعضها إلى بعض، ويكملون المعنى بضم هذا إلى هذا، ويبينون أن من فرق بين النصوص فقد فرق بين ما جمع الله بينه.

فمن مات على ترك الشرك، لكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ، أو جحد شيئاً مما أخبر الله به ورسوله مما جرى في الماضي، أو جحد شيئاً مما أوجب الله، أو جحد شيئاً مما حرم الله، فهذا كله غير داخل في الوعد في دخول الجنة والنجاة من النار. =

---

(١) ص٧٧.

.....

= فالحاصل أنه لا بد من نفي الشرك، بالإضافة إلى ما جاء في النصوص الأخرى من الإيمان بالله ورسوله، والتصديق بما أخبر الله به ورسوله، وعدم الجحد بما جاءت به النصوص، وعدم وجود مكفر من استهزاء بالدين، أو سب لله ورسوله، أو غير هذا مما يوجب الكفر، فهذا لا بد من مراعاته في جميع الأمور.

فهذه قواعد لا بد أن تراعى في كل ما يقال فيه إنه من أسباب دخول الجنة، أو من أسباب تكفير السيئات، أو ما أشبه ذلك، فلا بد من مراعاة الأصول*.

---

* **س: جاء في الحديث أنه يخرج من النار من دخلها، ولم يعمل خيراً قط**[1].

ج: أي: ليس له أعمال أخرى إلا التوحيد والإيمان؛ لأن النصوص بينت أنه لا بد من التوحيد، ولا بد من الإيمان، وإلا فالجنة عليه حرام، ولهذا جاء في الروايات أنهم يُخَرَجون من النار لأنهم يقولون: لا إله إلا الله[2].

فالمقصود أنه إذا جاء لفظ مجمل يقيَّد بالنصوص الأخرى الواضحة الدالة على أنه لا نجاة إلا بتوحيد وإيمان. =

---

(١) انظر «مسند أحمد» (٢/ ٣٠٤)، وفيه: «ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد».

(٢) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٤١٠)، ومسلم: الإيمان (١٩٣)(٣٢٥).

.....

= **س: إذا احتج بهذا الحديث من يقول بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، فما الجواب عن ذلك؟**

ج: يحتج عليه بالنصوص الأخرى، فأهل السنة والجماعة لا يفرقون بين النصوص، ولا يكذبون بعضها ببعض، ولا يضربون كتاب الله بعضه ببعض، لكنهم يصدقون كتاب الله كله، ويفسرون هذا بهذا، فيقال: دلت النصوص على أن الأعمال من الإيمان.

وليس لك أن تكذب بعضاً وتؤمن ببعض، بل عليك أن تصدق الجميع، وتتلى عليه الآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

س: قال غيره: اقتصر على نفي الشرك؟

ج: لأن ترك الشرك يقتضي توحيد الله والإخلاص، وإلا ما كان تركاً للشرك، فإذا ترك الشرك ولكن ما وحد الله ولا عبده، فمعناه أن قد عطل الله وأعرض عنه.

فالمقصود من هذا مدحه بأنه خاف لله، وتوجه إليه بقلبه، ووحده سبحانه، وليس المراد مجرد ترك الشرك، ولكنه لم يوحد الله، فإن هذا ليس محل مدح ولا ثناء، فلو أنه أعرض عن الله، فلا عبده وحده، ولا أشرك به، بل أعرض عن الله بالكلية، فهذا ليس بمسلم وليس بموحد، لكن في عرف المخاطبين من لا يشرك بالله يقتضي أنه موحد بالله ومؤمن به ﷻ، فخاطبهم بما يعقلون، فإذا قيل: إن فلان لا يوالي أعداء فلان، أو لا يحب =

.....

= أعداء فلان، فليس لأنه يحبه ويواليه، ولا يوالي غيره، وما أشبه ذلك، فالمقام يدل على المقصود.

س: من لم يعمل خيراً قط هل يقال: إنه من الموحدين؟

ج: بمراعاة القرائن، أي: خيراً قط منفصلاً عنه التوحيد، مثل: الصدقات والصيام، فقد يكون أسلم وشهد شهادة الحق ثم مات في الحال، وأيضاً قد يكون عنده سيئات، وعنده معاص، فأدخل النار بها، ثم طهر؛ لأن معه أصل التوحيد، أصل الإيمان بالله، وأن الله ربه وإلهه الحق، «خيراً قط» أي: خيراً عملياً بعيداً عن القلوب.

كما لو قال قائل: يقول الله جل وعلا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠] أليس القول السديد من التقوى؟ هو من التقوى، لكنه نبه عليه، لعظم شأنه، وكذلك ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] أليس من العمل الصالح؟ أليس من الإيمان التواصي بالحق والتواصي بالصبر؟

هو من الإيمان، ومن العمل الصالح، لكنه نبه عليه لعظم شأن المعنيين التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهكذا أشباه ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] أليس الصدق من التقوى؟ هو من التقوى، لكنه نبه على الصدق لعظم شأنه، وأن الواجب على المتقي أن يكون مع الصادقين وأن يحذر الكذب. =

.....

= **س: يقولون بأنه لو كان بين الإيمان والأعمال تلازم، أي: أمور متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر، لما حصل له دخول الجنة، وهو لم يعمل خيراً قط؟**

ج: الإيمان كلٌّ يتبعض، فبعض يكفَّر به الإنسان إذا تركه، وبعضه لا يكفَّر به إذا تركه، مثل ما قال النبي ﷺ: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شُعبَةً» أو قال: «بِضعٌ وستونَ شُعبةً»، على روايتيه، «فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»[1]، فهل قول: «لا إله إلا الله» وهي الشعبة الأولى مثل الشعبة الأخيرة إماطة الأذى عن الطريق؟ هل يتساويان؟!

لا يتساويان، فلو مرَّ بالطريق ولم يزل الأذى الذي فيه من حديد أو غيره ما صار كافراً، بل عاصياً، ناقص الإيمان، ولو أنه ترك «لا إله إلا الله» ولم يؤمن بها أو لم يقلها، لصار كافراً بإجماع المسلمين، فشعب الإيمان غير متساوية، فيها ما هو واجب وفرض لا بد منه، وإلا زال الإيمان بالكلية، وفيها ما هو واجب وفرض ولكن ما يزول الإيمان بزواله، بل ينقص ويضعف.

س: بعض الناس يعصون الله جل وعلا، ويداومون على المعاصي، ويقولون: إن الله جل وعلا يغفر ما دمت موحداً، فالله يغفر لك، والذنوب =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥).

.....

= هذه تحت مشيئة الله، ويداوم على المعاصي ـ والعياذ بالله ـ وهو على علم.

ج: هذا من جهله، وهو على خطر إن أصر على المعاصي، فقد يحال بينه وبين التوبة، وعلى خطر أيضاً من وقوعه في الكفر لتساهله، فقد يعاقب، ولكنه صادق ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩] سبحانه وتعالى، كما في القرآن الكريم، ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

لكنك هل تدري أنك ممن يغفر له، وأنت مصر على المعاصي، فأنت على خطر من أن تحرم المغفرة ومن أن يحال بينك وبين المغفرة، وأن تدخل النار بما أصررت عليه من الذنوب، قال الله في التائبين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦] فوعدهم المغفرة والجنة على عدم الإصرار.

فإذا أصر فهو غير موعود بالمغفرة ولا بالجنة، بل هو على خطر؛ لأنه معلق، والمعلق غير المجزوم له، فالمعلق على خطر، فقد يحصل له، وقد لا يحصل له، فهل يرضى العاقل أن يكون معلقاً، فالعاقل هو الحريص على النجاة لنفسه، ولا يرضى أن يكون معلقاً، بل يحرص أن يكون مع الناجين المجزوم لهم بالنجاة، والله المستعان.

والحمد لله الذي جعل مَن على المعاصي تحت المشيئة، الحمد لله أنه ما جعل كل من على معصية مخلداً في النار لا حيلة له، فمن فضل الله أن جعل للناس حيلة، يتوبون ويرجعون ويستغفرون عما مضى، فهذا من فضله =

.....

= وإحسانه جل وعلا.

س: سؤال غير مسموع.

ج: إن جاء الشرك نقض التوحيد، فإن جاءت الكلمات الشركية صارت نقضاً للتوحيد، والمراد أنه من يقول: «لا إله إلا الله» ويعتقد معناها، من توحيد الله وإفراده بالعبادة، أما من قال: «لا إله إلا الله» ونقضها بأقواله وأفعاله فلا تنفعه «لا إله إلا الله»، فلا بد أن يقولها وأن يوحد الله، ولهذا في اللفظ الآخر، يقول ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ على أن يُعبدَ الله ويكفرَ بما دونه»[1]، فلا بد من توحيد الله، وفي حديث معاذ: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله»[2]، فلا بد من توحيده.

أما مجرَّد قول: «لا إله إلا الله» مع الشرك فلا ينفع، لا من قالها معتقداً، ولا من قالها غير معتقد كالمنافقين، فكلهم لا ينفعهم ذلك؛ ولهذا يقولها المنافقون، ولا يصدقون بمعناها، فلا تنفعهم، وهكذا اليهود يقولونها، وهكذا النصارى قد يقولها كثير منهم، ولا تنفعهم؛ لأنهم لا يؤمنون بمعناها، وهكذا عباد الأوثان إذا قالوها، ثم عبدوا البدوي، وعبدوا الحسين، وعبدوا عبد القادر، وعبدوا اللات والعزى، فما تنفعهم؛ لأنهم قالوها لغواً، فما تفيد ـ نسأل الله العافية ـ فالمقصود المعاني. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦).

(٢) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم: الإيمان (١٩).

.....

= س: فهل يعذروا مع الجهل بمعناها؟

ج: هذا محل نظر، إن لم يعلموا، يوضح ويبين لهم الحق الذي جاءت به الرسل، حتى يفهموا ويعقلوا.

أما إن ماتوا عليها فهل لهم عذر أم لا؟ على قولين لأهل العلم: منهم من قال لهم عذر، ويمتحنون يوم القيامة مثل أهل الفترة، ومنهم من قال: لا يعذرون؛ لأن الإيمان واضح في كتاب الله وفي سنة رسوله، فالإيمان والتوحيد واضح لا يعذر بجهالته.

أحد الطلبة: ذكر ابن ماجه رحمه الله في الحديث رقم (٤٠٤٩):

حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن رِبعِيٍّ بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشيُ الثوبِ، حتَّى لا يُدرَى ما صيامٌ ولا صلاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ، ولَيُسرَى على كتابِ الله ﷻ في ليلةٍ، فلا يبقَى في الأرضِ منه آيةٌ، وتبقَى طوائفُ من الناسِ، الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءَنا على هذه الكلمةِ: لا إلهَ إلا اللهُ، فنحن نقولُها».

فقال له صِلَةُ: ما تُغنِي عنهم: لا إلهَ إلا اللهُ، وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرضَ عنه حذيفةُ، ثم ردَّها عليه ثلاثاً، كُلَّ ذلك يُعرِضُ عنه حذيفةُ، ثم أقبلَ عليه في الثالثةِ فقال: يا صِلَةُ تُنجِيهِم من النارِ، ثلاثاً. =

.....

= **الشيخ**: وهذا سند جيد عند ابن ماجه، وهو يدل على أن هؤلاء الذين جهلوا الشرائع وما جاء به القرآن في زمانهم، ولم يبق عندهم إلا ما حفظوه عن آباءهم، أن إيمانهم بـ«لا إله إلا الله» وقولهم: «لا إله إلا الله» الذي ليس معه شرك، بل معها توحيد وإخلاص ـ أن هذا ينجيهم من عذاب الله، ولا يلزم من النجاة من عذاب الله أن لا يكون هناك عذاب.

بل يدل ذلك على مصيرهم إلى النجاة والسعادة، فإن كانوا معذورين، لم يدروا عن الصلاة ولا عن الصيام شيئاً، ولا قامت عليهم حجة، فحكمهم حكم أهل الفترات في هذا الشيء، فيكون معهم الأصل، أصل السعادة وأصل الإيمان، فينجون من عذاب الله جل وعلا.

هذا، وليس في الحديث حجة لمن ترك الصلاة عامداً وهو يعلم أنها فريضة.

الطالب: وقال الحاكم في «مستدركه»، المجلد الرابع (ص٤٧٣):

أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد الحفيد، قال: حدثنا جدي قال: حدثنا أبو كريب، قال: أنبأنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة ﷺ بلفظه، غير أنه قال: قال صِلَةُ بنُ زُفَر. وقوله في آخره: يا صلةُ تنجيهم من النار.

فلفظ «ثلاثاً» غير موجودة عند الحاكم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. =

.....

= **الشيخ**: هذا سند جيد.

س: السندان جيدان؟

ج: كلا، سند الحاكم لا أعرف صحته، ولكن سند ابن ماجه جيد، ولكن انتهى إليه الحاكم.

س: وهل إذا سكت عنه الذهبي يكون موافقاً له؟

ج: نعم يكون موافقاً له؛ والذي يظهر أنه إذا تركه أهل العلم يكون ثابتاً، وهذا الأرجح من القولين، وهذا مشهور بين العلماء، فبعضهم يرى أنه كفر دون كفر، ولا يراه كافراً، لكن ظاهر النصوص تقتضي تكفيره إذا كان يعرف ذلك، نسأل الله السلامة.

أحد الطلبة: بعض الإخوان أعطاني هنا سطرين من كتاب اسمه «كتاب الإنتاج» يدرس بالرياض في كلية التجارة، وهو مقرر على البنات والأولاد، فيه سطران نحب من سماحتكم أن تطَّلع عليهما، يقول:

أهم من ذلك كله تطوير عقلية ومفاهيم السكان، وبالتالي تغيير معتقداتهم وعاداتهم التي قد تقف عقبة في سبيل أي تقدم، والمثل الواضح على ذلك ما ترتب على إقامة المصانع في الصعيد من تطوير في عقلية السكان الموجودين في هذه المناطق، من كان يتصور أن سكان منطقة مثل كوم أمبو، أو قنا، سيقبلون أن تتخلص بناتهم من الحجاب وتخرج للعمل والمصانع، هذا ما حدث فعلاً في قلب الصعيد، نجد الآن في المناطق الصناعية =

.....

= العاملات يعملن جنباً إلى جنب مع العمال، وقد تخلصن تماماً من الحجاب، انتهى الموضوع.

الشيخ: هذا على كل حال كلام قبيح خليع، أوله مجمل وهو محل نظر، لكن آخره واضح وبيِّن في مسألة محاربة الحجاب، وأن هذا من التقدم الذي ينبغي أن ينظر فيه، والله المستعان.

الطالب: تغيير المعتقدات والعادات...!

الشيخ: هذا مجمل، فيه شر تحت الرماد، فالمعتقدات الفاسدة في الحسين والبدوي لا بأس في تغييرها، لكن المعتقدات الصالحة لا تغير، أقول: هذا كلام مجمل، في مصر وأشباه مصر معتقدات فاسدة ينبغي أن تغير، كعبادة البدوي وعبادة الحسين وأشباه ذلك، لكن العقيدة الصالحة وأهل التوحيد لا يجوز أن تغير عقائدهم؛ وهذا مطلوب من حراس المسلمين.

س: حديث «لا يأتي زمانٌ إلا الذي بعدَه شَرٌّ منه»؟

ج: صحيح، رواه البخاري[1]، أي: في الجملة، فقد يأتي بالنسبة إلى بعض الأزمنة فرج من الكرب، وهدى من الضلال على أيدي بعض الدعاة إلى الله ﷻ، لكن في الجملة لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ولكن لا يمنع من كون بعض الزمان بالنسبة إلى بعض البلاد أحسن من الذي قبله؛ =

(١) البخاري: الفتن (٧٠٦٨).

.....

= كما جرى في عهد عمر بن عبد العزيز، بالنسبة إلى من قبله في الجملة، وكما جرى في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بالنسبة للتي قبلها، وقد تأتي أشياء تكون أصلح بالنسبة لما قبلها.

وجاء في الحديث: «طُوبَى للغرباءِ الذين يُصلِحُون ما أفسدَ الناسُ»[1] أي: غرباء يأتون لإصلاح الناس، فيكون زمانهم أصلح من الزمان الفاسد الذي قبلهم، وهو ثابت من طرق كثيرة، وأصله في «مسلم»[2]، لكن الزيادة جاءت في طرق أخرى ثابتة غير «مسلم»، وذكر الهيثمي جملة منها في «مجمع الزوائد»[3] وغيرُه.

* * *

يليه الجزء الثاني وأوله:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠).

(٢) مسلم: الإيمان (١٤٥).

(٣) بالأرقام (١٢١٩١) و(١٢١٩٣) و(١٢١٩٤).